جامعة بيرزيت

BIRZEIT UNIVERSITY

كلية الدراسات العليا

دور أسرة الطفل والعاملين في المؤسسات الداخلية في شرقي القدس وتأثير خلفياتهم الإجتماعية على تعديل سلوك الأطفال المقيمين في تلك المؤسسات

Child's Family and Staff's Role and the Impact of Their Social Backgrounds on Modifying the Behavior of the Children Institutionalized in Rehabilitation Boarding Institutions in east Jerusalem

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب

أكرم فؤاد مشاهرة

إشراف: د.مصلح كناعنة

جامعة بيرزيت - فلسطين

2011

دور أسرة الطفل والعاملين في المؤسسات الداخلية في شرقي القدس وتأثير خلفياتهم الإجتماعية على تعديل سلوك الأطفال المقيمين في تلك المؤسسات

Child's Family and Staff's Role and the Impact of Their Social Backgrounds on Modifying the Behavior of the Children Institutionalized in Rehabilitation Boarding Institutions in east Jerusalem

أكرم فؤاد مشاهرة

2011/8/17

إشراف: د.مصلح كناعنة

لجنة النقاش

د.إبراهيم مكاوي **د.بدرالأعرج**

قدمت هذه الرسالة إستكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في علم الإجتماع من كلية الدراسات العليا في جامعة بير زيت–فلسطين

أكرم فؤاد مشاهرة

دور أسرة الطفل والعاملين في المؤسسات الداخلية في شرقي القدس وتأثير خلفياتهم الإجتماعية على تعديل سلوك الأطفال المقيمين في تلك المؤسسات

Child's Family and Staff's Role and the Impact of Their Social Backgrounds on Modifying the Behavior of the Children Institutionalized in Rehabilitation Boarding Institutions in east Jerusalem

2011/8/17

د.مصلح كناعنة: _____

د.بدر الأعرج: _____

د.إبراهيم مكاوي: _____

الإهداء

بالعطر ...

والمحبة...

والتواضع...

أهدي هذه الدراسة

إلى والديّ وإخواني الأعزاء

إلى زوجتي وأبنائي الغالين

إلى كل طفل حرم من طفولته

إلى كل طفل حرم من أسرته

إلى كل أسرة يعنيها ويهمها طفلها

شكر وتقدير

إن الشكر جمال كما أنه خلق رفيع، وللشكر أناس جديرون به، ومن خلال هذا المعنى أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ الفاضل والعزيز د.مصلح كناعنه على توجيهه وإرشاده لي طوال فترة إنجاز هذه الرسالة الذي كان لي بمثابة البوصلة التي أهتدي بها عندما تختلط علي الإتجاهات، وإني أدين له بإنجاز هذه الرسالة.
كما وأتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة الإشراف والمناقشة د. إبراهيم مكاوي ود. بدر الأعرج على القراءة والملاحظات القيمة التي زودني بها.
كما وأشكر مدراء وطواقم العاملين في تلك المؤسسات على تعاونهم معي لإنجاز هذه الرسالة.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	أ
شكر وتقدير	ب
ملخص الدراسة	ج
الفصل الأول	1
مقدمة	2
مشكلة الدراسة	2
أهمية الدراسة	3
أسئلة ومحاور الدراسة	4
مفاهيم الدراسة	5
فصول الدراسة	7
الفصل الثاني	8
تمهيد	9
النظريات التي تناولت موضوع الاضطرابات السلوكية	17
الدراسات السابقة	30
الفصل الثالث	48
منهجية الدراسة	49
مجتمع الدراسة	50
عينة الدراسة	50
وصف خصائص العينة	50
موضوعية الدراسة	51
الفصل الرابع	52
وصف المؤسسات الداخلية في شرقي القدس	53
تعريف المؤسسات	53
الأهداف التي أنشئت من أجلها المؤسسات	53
شروط قبول الأطفال للمؤسسات	53
كيفية تحويل الأطفال وقبولهم	54
نوعية المؤسسات	54
الهيكل الهرمي لتلك المؤسسات	55
وصف لمهام العاملين	55
النشاطات والفعاليات التي يقوم بها الأطفال في المؤسسات	57
مكونات البيت	58
وصف للحياة اليومية للأطفال	58
نظام العمل مع أهالي الأطفال	59
تعريف بالمؤسسات	59

الفصل الخامس 61
محاور الدراسة 62

المحور الأول: ما هو الدور الذي تقوم به المؤسسات الداخلية وطواقم العاملين فيها من أجل تعديل أو تغير سلوك الأطفال المقيمين في هذه المؤسسات؟ 62

المحور الثاني: ما هو الدور الذي يعطى من قبل المؤسسات الداخلية للأهل وما الذي تفعله هذه المؤسسات لإشراك الأهل في تعديل سلوك أطفالهم؟ 69

المحور الثالث: هل تؤثر مشاركة الأهل وتفاعلهم وزياراتهم لأطفالهم في المؤسسات الداخلية ايجابياً على تعديل سلوك أطفالهم؟ 74

المحور الرابع: هل هناك علاقة بين مستوى التحصيل العلمي للوالدين والعاملين في المؤسسات الداخلية وبين تعديل سلوك الأطفال؟ 78

المحور الخامس: هل هناك علاقة بين المستوى الإقتصادي للوالدين والعاملين في المؤسسات الداخلية وبين تعديل سلوك الأطفال؟ 86

المحور السادس: هل هناك علاقة بين درجة التدين للوالدين والعاملين في المؤسسات الداخلية وبين تعديل سلوك الأطفال؟ 99

المحور السابع:هل هناك علاقة بين نوعية الأسرة(ممتدة، نووية) للوالدين والعاملين في المؤسسات الداخلية وبين تعديل سلوك الأطفال؟ 109

الفصل السادس 121
نتائج الدراسة ومناقشتها 122
التوصيات 130

قائمة المصادر والمراجع 133

ملحق للأسئلة المركزية للمقابلات 147

ملخص الدراسة

لقد هدفت الدراسة للتعرف على دور أسرة الطفل وطواقم العاملين في المؤسسات الداخلية في شرقي القدس وتأثير خلفياتهم الإجتماعية على تعديل أو تغير السلوك لدى أطفال المؤسسات مع التركيز على المستوى التعليمي والإقتصادي ودرجة التدين ونوع الأسرة، وكذلك نوعية المؤسسة وجودة الخدمات التي تقدمها، ولتحقيق ذلك تم الإستعانة بالمنهج الكيفي من خلال إستخدام إسلوبي الملاحظة بالمشاركة والمقابلة لبعض العاملين وأسر الأطفال المقيمين في مؤسسات الأطفال الفاعلة حالياً في شرقي القدس، مركز أجيال للبنين، رواد الغد، البيت البديل، ودير سان فنسنت. لقد إعتمدت الدراسة كل من نظرية النظم ونظرية النماذج السلوكية أو ما تعرف بنظرية التعلم الإجتماعي، وتم إستبعاد النظرية البيولوجية، السيكوديناميية، الإنسانية ونظرية الوصف أو ما تعرف بالمسميات. وكان من أبرز نتائج الدراسة أن المؤسسات الداخلية تركز على القيام بالتجربة المصححة بوجود نموذج ايجابي سليم يحتذى به وبتصرفاته من قبل الأطفال، والذي يتمثل بوجود مرشد يمثل دور الأب أو الأخ الأكبر، ومرشدة تمثل دور الأم أو الأخت الكبرى. تعطي المؤسسات دوراً كبيراً للأهل في المساعدة بتعديل سلوك أطفالهم من خلال إشراكهم بالمجموعات العلاجية الإرشادية، وبحضور الإحتفالات والمناسبات والنشاطات المختلفة، وإعطائهم بعض المهام والمسؤليات تجاه أطفالهم. مشاركة الأهل وتفاعلهم مع طفلهم بالمؤسسة تؤثر ايجابياً على سلوك الطفل وتشعره بالأمن والطمأنية والهدوء النفسي وأنه ما زال محبوباً من قبلهم. لمستوى تعليم الأهل ووضعهم الإقتصادي أثر كبير في تعديل سلوك الأطفال بشكل طردي، في حين أن المستوى الديني للأهل يكون له تأثير على سلوك أطفالهم قبل دخولهم المؤسسات، أما بعد دخولهم فيكون التأثير أكبر لمستوى تدين العاملين بحكم كونهم يعيشون لفترة زمنية طويلة مع هؤلاء الأطفال. شدد العاملون على أهمية دور الأسرة الممتدة في التأثير على تعديل سلوك الأطفال وذلك نظراً لأهمية وجود شريك من العائلة الممتدة في حال غياب أفراد الأسرة النووية.

Abstract

The study aimed to identify the Child's Family and Staff's Role and the Impact of Their Social Backgrounds on Modifying the Behavior of the Children Institutionalized in Rehabilitation Boarding Institution, in east Jerusalem, with a focus on educational and economic level and degree of religiosity and family type, as well as the quality of the institution and services provided by, and to achieve this, the qualitative methodology has been used through the use of observation by participation and interviewing some of the workers and the families of children living in children's institutions currently active in East Jerusalem: Ajyal center for boys, Rwwad Al-Gad, Albayt Al-badeel, the Monastery of Saint Vincent. Systems theory and the theory of behavioral models or known as the theory of social learning were accepted, whereas Ohoenfe biological theory, psychodynamic theory, humanistic theory, and the theory of labelling were ruled out. The main results of the study emphasized that domestic institutions focused on to do the corrected experience with the presence of a positive model can be trusted by children, which is the presence of a male mentor role of the father or older brother, and a female mentor are the role of the mother or older sister. The domestic institutions give a big role for parents in helping to modify the behavior of their children through their involvement in therapeutic groups, and the presence of celebrations, events and various activities, and give them some of the tasks and responsibilities towards their children. Parental involvement and interaction with their children has positive influence on the behavior of the child and makes him feel secure calm and is still loved by them. The level of education of parents and their economic situation have a significant impact in modifying the behavior of children while the level of religious people have an impact on the behavior of their children before they enter the institutions, but after entering, the impact of religious background of the employees could be more effective because they live a long with these children. Staff stressed the importance of the role of the extended family in influencing children's behavior modification in view of the importance of having a partner of the extended family in the absence of members of the nuclear family.

الفصل الأول

المقدمة

مشكلة الدراسة

أهمية الدراسة

أسئلة ومحاور الدراسة

مفاهيم الدراسة

فصول الدراسة

المقدمة

أطفال المؤسسات الداخلية فئة من فئات المجتمع الذين يعتبرون ضحايا لظروف لا ذنب لهم فيها، ونتيجة لفقدانهم الأسر التي ترعاهم وتوجههم فإن ذلك يؤدي إلى معاناتهم من مشكلات وصعوبات في حياتهم، لذا فإن الجهود لابد أن تبذل لتعويضهم عن الحرمان من الرعاية الأسرية، ولمساعدتهم على التكيف في مجتمعهم، وليكونوا أعضاء فاعلين فيه، وإن كانت الرعاية من خلال مؤسسات داخلية ليست الأسلوب المفضل في رعاية تلك الفئة، لكنها تعتبر أحد الخيارات الممكنة، فرعاية أطفال المؤسسات الداخلية في جو قريب من أسرهم الأصلية يجنبهم الكثير من الإضطرابات والأمراض النفسية والإجتماعية، ويساعد على تنشئتهم تنشئة صالحة، ليصبحوا أعضاء فاعلين في مجتمعهم.

مشكلة الدراسة:

كيف يرى الأهل والعاملين العلاقة بين الخلفية الإجتماعية لوالدي الطفل المقيم في مؤسسة داخلية والخلفية الإجتماعية للعاملين في تلك المؤسسة وبين إمكانيات تعديل أو تغيير سلوك الطفل المعني؟ وإذا كانت هناك علاقة، فما هي تلك العلاقة؟

أهمية الدراسة:

بعد مراجعتي لما هو متوفر من أدبيات ودراسات سابقة حول المؤسسات الداخلية للأطفال، وجدت أن أغلب هذه الدراسات لم تتناول تأثير الخلفية الإجتماعية للوالدين على تعديل أو تغير سلوك الطفل، بل هي تعالج إما مواضيع مرتبطة بالمؤسسة ذاتها، وإما مواضيع متعلقة بالظروف المختلفة التي توصل الأطفال إلى مثل هذه المؤسسات، وإما بآثار الحرمان من الوالدين.

من هنا تأتي أهمية الدراسة الحالية، حيث أنها ستضيف بعداً جديداً من المعرفة ونوعاً مختلفاً من المعلومات من أجل إبراز مدى تأثير الخلفيات الإجتماعية لكل من أسرة الطفل وطواقم العاملين في المؤسسات الداخلية على المجهود الذي يُبذل لمعالجة السلوكيات السلبية لدى أطفال المؤسسات، مع التركيز على المستوى التعليمي والإقتصادي، ودرجة التدين، ونوع الأسرة، وكذلك نوعية المؤسسة وجودة الخدمات التي تقدمها. ومن شأن مثل هذه المعلومات أن تفيد العاملين في المؤسسات الداخلية في تطوير البرامج المقدمة للأهل، كإرشاد الوالدين ومساعدتهما في التغلب على جوانب التقصير والإهمال وإثراء مساهمتهما في تعديل سلوك أطفالها. وغني عن الذكر، فإنني شخصياً سوف أجني من هذه الدراسة الكثير من الفائدة في عملي كمدير لمؤسسة "أجيال" في شرقي القدس، والتي تُعنى بالأطفال الذين يعانون من ضائقة إجتماعية ناتجة عن التفكك الأسري وإستفحال المشاكل الإجتماعية (كالمخدرات، والطلاق، والعنف الأسري)، وذلك في سبيل تفعيل وتحسين دور الأهل (مع مراعاة الإختلافات بينهم)، وعلى الأخص في نطاق المجموعات العلاجية التي تقام من خلال ورشات العمل التي تعقدها المؤسسة لأهالي الأطفال.

أسئلة ومحاور الدراسة:

1. ما هو الدور الذي تقوم به المؤسسات الداخلية وطواقم العاملين فيها من أجل تعديل أو تغير سلوك الأطفال المقيمين في هذه المؤسسات؟
2. ما هو الدور الذي يعطى من قبل المؤسسات الداخلية للأهل، وما الذي تفعله هذه المؤسسات لإشراك الأهل في تعديل سلوك أطفالهم؟
3. هل تؤثر مشاركة الأهل وتفاعلهم وزياراتهم لأطفالهم في المؤسسات الداخلية إيجابياً على تعديل سلوك أطفالهم؟
4. هل هناك علاقة بين مستوى التحصيل العلمي للوالدين والعاملين في المؤسسات الداخلية وبين تعديل سلوك الأطفال؟
5. هل هناك علاقة بين درجة تدين الوالدين والعاملين في المؤسسات الداخلية وبين تعديل سلوك الأطفال؟
6. هل هناك علاقة بين المستوى الإقتصادي للوالدين والعاملين في المؤسسات الداخلية وبين تعديل سلوك الأطفال؟
7. هل هناك علاقة بين نوعية الأسرة (ممتدة، نووية) للوالدين والعاملين في المؤسسات الداخلية وبين تعديل سلوك الأطفال؟

مفاهيم الدراسة:

السلوك:

هو كل الأفعال والنشاطات التي تصدر عن الفرد، ظاهرة كانت أم غير ظاهرة. ويعرف السلوك الإنساني أيضاً بأنه " أي نشاط يصدر عن الإنسان سواء كان أفعالاً يمكن ملاحظتها وقياسها كالنشاطات الفسيولوجية والحركية أو نشاطات على نحو غير ملحوظ كالتفكير والتذكر وغيرها." (الخطيب، 1994: 15– 16). كما يعرفه الظاهر (2004) بأنه كل ما يقوم به الفرد من حركات وأفعال وما يصدر عنه من أقوال وما يشعر به من إنفعالات وعواطف وميول ونزعات وما يعني له من أفكار وخيالات.

تعديل السلوك:

هناك عدة تعريفات لتعديل السلوك فيعرفه الخطيب (1994: 16) بأنه "شكل من أشكال العلاج يهدف إلى تحقيق تغيرات في سلوك الفرد تجعل حياة المحيطين به أكثر إيجابية وفاعلية، وهناك أنواع عدة من طرق التعديل يستخدمه المعلم أو الأب أو الأم، أو من يتولى الطفل، الأسلوب الأمثل في تعديل السلوك، كالتعزيز الإيجابي أو التعزيز السلبي أو غيرها، ويعتمد ذلك على الطفل وعمره، و نوع السلوك المستهدف". ويرى عبد الهادي وعزة (2001: 11–12) على أنه "تغير السلوك *الغير* مرغوب [خطأ في الأصل] بطريقة مدروسة، وهو نوع من العلاج السلوكي يعتمد على التطبيق المباشر لمبادئ التعلم و التدعيمات الإيجابية والسلبية، بهدف تعديل السلوك *الغير* مرغوب". كما يعرفه الظاهر(2004: 23) بأنه "العلم الذي يشتمل على التطبيق المنظم للأساليب التي إنبثقت عن القوانين السلوكية، وذلك بغية إحداث تغير جوهري ومفيد في السلوك الإجتماعي، وهذا العلم يشتمل على تقديم الأدلة التجريبية التي توضح مسؤولية الأساليب التي تم إستخدامها عن التغير الذي حدث في السلوك". كما يشير مصطلح تعديل السلوك إلى "مجموعة

من الإجراءات التي تشكل قوانين السلوك، تلك التي تصف العلاقة الوظيفية بين المتغيرات البيئية والسلوك،" كما تم تعريفه أيضاً على أنه "شكل من أشكال العلاج النفسي" ويعنى أساساً بتغيير السلوك المشاهد، وموضوع الإهتمام الرئيسي فيه هو السلوك الذي يمكن ملاحظته في الطفل." (المرجع السابق: 23)

المؤسسة الإجتماعية:

هي شكل من أشكال التفاعل الإجتماعي التعاوني بين الناس الذين يشتركون في مواقع عامة، بغض النظر عن دوافعهم النفسية، وتقوم مجموعة من الأفراد تربطهم مصلحة معينة أو هدف خاص، فضلاً عن كونها جماعة منظمة تشكلت لكي تشبع بعض المصالح العامة ضمن تركيبها الإداري (عمر، 2000: 123). ويقصد بالمؤسسة الاجتماعية أنها تنظيم رسمي من العلاقات والممارسات التي تخدم الأهداف المحددة لوظائف الثقافة الإجتماعية (Barker، 2003).

المحرومون من الرعاية الأسرية :

هناك عدة تعريفات لمفهوم الحرمان من الرعاية الأسرية، فيعرفه ماير (1964) بأنه "حرمان الطفل من الرعاية المناسبة لإشباع حاجاته". و يرى برينجل (1971) "أنه الطفل الذي يعيش مع أسرته و لكنه لا ينال الرعاية الكافية و لا العطف والحنان اللازمين، أو الطفل الذي يكون غير قادر على الحياة في ظل ظروف أسرته الطبيعية لأي سبب من الأسباب، كموت أو إنفصال الأبوين أو مرضهما، أو عدم الشرعية". و ينظر معجم التنمية الإجتماعية إلى الطفل المحروم على أنه مرادف للطفل اللقيط، فيعرف الطفل المحروم بأنه: "الطفل اللقيط أو المتخلى عنه الذي يولد لأب وأم غير معروفين فينبذانه للتخلص منه، أو يتركه المسؤولون عنه قانونياً." (معجم التنمية الإجتماعية، 1983) وهناك من يرى أن الطفل المحروم هو "كل طفل يُرفض أو يُهمل من قبل أبويه أو أحدهما، أو من قبل الذين يقومون برعايته، سواء كانوا أشخاصاً طبيعيين أو

إعتباريين، أو هو ذلك الطفل الذي لا يحصل على إشراف وتوجيه أسري مناسب ولا تتوافر الرعاية التي تتطلبها مرحلة نموه، أوالذي يتعرض لإساءة معاملة في مظاهرها الجسمية والنفسية والإجتماعية." (الحوات وآخرون، 1989: 16).

فصول الدراسة:

تم تقسيم هذه الدراسة لخمسة فصول حيث يحتوي:

الفصل الأول: المقدمة، مشكلة الدراسة، أهمية الدراسة، أسئلة ومحاور الدراسة، مفاهيم الدراسة.

الفصل الثاني: تمهيد، النظريات التي تناولت موضوع الإضطرابات السلوكية، الدراسات السابقة.

الفصل الثالث: منهجية الدراسة، مجتمع الدراسة، عينة الدراسة، وصف لخصائص العينة، موضوعية الدراسة.

الفصل الرابع: وصف للمؤسسات المدروسة من حيث: أهدافها، شروط قبول الأطفال، كيفية تحويل الأطفال وقبولهم، نوعية المؤسسات، الهيكل الهرمي لتلك المؤسسات، وصف لمهام العاملين، النشاطات والفعاليات التي يقوم بها الأطفال بالمؤسسات، مكونات البيت، وصف للحياة اليومية للأطفال.

الفصل الخامس: محاور الدراسة.

الفصل السادس: نتائج الدراسة ومناقشتها، التوصيات.

الفصل الثاني

تمهيد

النظريات التي تناولت موضوع الإضطرابات السلوكية

الدراسات السابقة

تمهيد

إن الطفل الذي يعيش بعيداً عن أسرته، أي الطفل الذي يتعرض للحرمان من الوالدين ومن جو الأسرة الطبيعي، يفقد كثيراً من الأمور والمميزات التي من المفروض أن يكتسبها من خلال الأسرة والجو الأسري الطبيعي. فالطفل الذي يعيش في أسرة أصابها التفكك، أو يعيش بعيداً عن أسرته كما هو الحال مع أطفال المؤسسات، هو طفل حرم من عائد نفسي كان من المفروض أن يحصل عليه من خلال وجود الأسرة وتأديتها لوظائفها الأساسية. وهنا أودّ أن اؤكد على أن الأسرة ليست هي مجموع أفرادها فحسب، بل هي في الأساس تفاعل ديناميكي مع بعضها البعض، فهي ليست ثنائيات منفصلة عن بعضها، وإنما هي ثنائيات تتجمّع في إطار الأسرة لتؤثر في الطفل ونموه في النهاية، فالطفل وأمه ثنائية، والطفل وأبوه ثنائية، والأم والأب ثنائية، جميعها تكون بمثابة تفاعلات تحدث داخل الأسرة لتؤثر في الأطفال والوالدين معاً.

إن معايشة الطفل لوسط أسري سليم التكوين يتوفر فيه الحب والعطف يساعد على نشوئه سوياً مع نفسه ومجتمعه، مكتسباً لأساليب وطرائق الدور الإجتماعي الذي عليه أن يؤديه في مستقبل حياته، ذكراً كان أم أنثى.

هناك أهمية بالغة للروابط الإنفعالية بين الطفل ووالديه، فخلال السنتين أو الثلاث الأولى من حياة الطفل ينمي الطفل سلسلة من الإرتباطات بالوالدين (attachments) ذات أهمية بالغة ، حيث أن هذه الإرتباطات تشكل الأساس للعلاقات المقبلة فيما بعد. أما الطفل الذي فشل في إقامة علاقات آمنة في طفولته المبكرة فيميل إلى أن يكون عرضة لضرر إجتماعي ونفسي كبير حينما تتقدم به العمر. ووجود الروابط بين الطفل ووالديه ليس هاماً فقط من خلال دور الوالدين

في نمو العلاقات المقبلة، وإنما كذلك من خلال تأثيرهما المباشر في تقليل قلق الطفل في المواقف الجديدة الضاغطة، وبهذا فإن الأسرة تكون بمثابة أساس آمن (secure base) يستطيع الطفل من خلاله أن يجرب طرقاً جديدة للإستطلاع والإستجابة لبيئته. فالأطفال الذين وصفوا كما لاحظ (Brody& Axelard، 1978) بأنهم مرتبطون بوالديهم بشكل آمن حينما كانوا صغاراً (أي من سن 3–7 سنوات) وكانوا أكثر رضا وأكثر قدرة على أن يكونوا منشغلين حينما يكونون بمفردهم، يملكون علاقات أفضل مع الناس ويكونون أكثر قدرة على السلوك الملائم لسنهم" (Owens, 1987: 310; Rutter, 1984:139; Hurlock, 1983:494; Axelard & Brody, 1978:243).

هذا التأكيد على الدور العظيم للأسرة، يرجع بالدرجة الأولى إلى حقيقة أن الأسرة وأعضاءها يمثلون أول إحتكاكات الطفل الإجتماعية في السنوات الأولى من حياته، والتي تعد بحق خطيرة من حيث آثارها على النمو الإجتماعي والإنفعالي والعقلي والجسمي للطفل. فالإتجاهات الإجتماعية، من ثقة بالناس وميل إليهم أو عدم الثقة بهم والشعور بالعداوة نحوهم، تنشأ من علاقات الطفل بالآخرين في مقتبل العمر، وخاصة الوالدين، فالتفاعلات والعلاقات الإنفعالية بين الطفل الصغير ووالديه سوف تشكل توقعاته وإستجاباته التالية فيما بعد نحو ذاته ونحو الآخرين. كما أن معتقدات وقيم وإتجاهات الثقافة يتم ترشيحها وتقديمها بشكل إنتقائي للطفل من خلال الوالدين، فسلوك الوالدين يساعد كثيراً في تحديد سلوك الطفل، وهما يساعدان على تشكيل سلوك الطفل من خلال تشجيعهما أو عدم تشجيعهما لأنماط سلوكية معينة، وبواسطة تأديبهما للطفل، وبواسطة مقدار الحرية الممنوحة والمسموح بها للطفل، وكذلك من خلال تلقين الطفل وتلقيه نماذج سلوكية من الوالدين حينما يستجيبان لأفعاله المختلفة (Rutter, 1984; Park, 1979; Perry, 1982; Craig, 1980).

وعليه فبإمكاننا أن نقرر أن الخبرات الأولى التي يعايشها الطفل في مقتبل العمر، وخاصة علاقاته وخبراته مع والديه وأفراد أسرته، ترّسخ علاقاته المستقبلية مع الآخرين. فالطفل الذي كانت خبراته الأولى مع والديه مضطربة وغير مشبعة، نجد أن علاقاته فيما بعد تتسم بعدم الإطمئنان وعدم الثقة فيمن حوله، بل قد تصبح علاقاته عدوانية إنتقامية. فالأطفال الذين لم يختبروا العلاقات الأسرية الدافئة المانحة للأمن والإستقرار، قد يصبحون مصدراً دائماً لكثير من حالات الإنحراف، فحرمان الطفل المادي قد يؤدي به إلى إشباع حاجاته الأساسية بطرق غير مشروعة في المجتمع، كما ويؤدي الحرمان العاطفي المتمثل في فقدان الوالدين، أو حتى النبذ والقسوة والإهمال الشديد من جانبهما، إلى إطلاق الطاقات العدوانية أو تنمية الميول الإنسحابية لدى الأطفال. ولهذا نجد أن البحوث التي أجريت في ميدان علم النفس تؤكد على ما تحدثه الآثار العكسية للحرمان من الأسرة وما يترتب على ذلك من إفتقاد الطفل لهذه المحبة والرعاية الأسرية، وذلك حينما تطرأ على الأسرة ظروف تمنعها من تحقيق وظائفها، وخاصة وظيفتها النفسية المتمثلة بتبادل المحبة. ومن هنا فإننا نجد أن الأطفال المحرومين من الوالدين، كأطفال المؤسسات، يتميزون بالتخلف في جوانب شخصياتهم سواء عقلياً أو إنفعالياً (فوس، 1972).

أود أن أشير هنا إلى أنه ليس من الضروري أن يوجد الطفل في بيئة ووسط يضم الوالدين البيولوجين فقط لكي ينشأ سوياً متوافقاً، وإنما الأهم من ذلك هو إعطاء الطفل الحنان والحب ومنحه الثقة والطمأنينة التي تعينه على التوافق مع مجتمعه فيما بعد. فالرابطة بين الطفل ووالديه، كما يرى "روتر"، لا تحتاج أن تحدث فقط مع الوالد البيولوجي، بل يمكن أن تحدث مع الوالد البديل أو مع من يقوم على رعاية الطفل. وكما يرى أوبتون (Upton، 1983) فإنه لا الإنفصال المستمر ولا الإنفصال عن الأم البيولوجية أو الأم البديلة الدائمة هي العوامل الأساسية، بل يبدو بالأحرى أن نوعية الرعاية أو الرعاية البديلة هي العامل ذو الأهمية

الأساسية. فهناك العديد من الأطفال ممن هم معرضون للحرمان الوالدي، غير أنهم لم ينفصلوا عن والديهم ولكنهم يعانون من رعاية ضحلة مشوهة داخل المنزل، وهنا نجد أن الوالدين يهملان الطفل أو يوليانه إهتماماً ضئيلاً، وقد يكونا نابذين للطفل بشكل عام. ومثل هذا النوع من الحرمان قد يكون مدمراً، فالنبذ وعدم الإكتراث والعقاب الشديد يسبب السلوك المتوتر والسلبي لدى الأطفال. ولعلّ ذلك هو ما حدا ببريمنر (Bremner، 1988) إلى تقرير "أن ما يبدو مهما هو نوعية الإستثارة وإستمرارها، وإذا كانت هذه الإستثارة تتوفر بواسطة العلاقة بالأم فإن العلاقات مع الأفراد الآخرين داخل الأسرة وخارجها ذات أهمية كبيرة لا يمكن إغفالها بحال من الأحوال" (187).

توضح هارلوك أن إنفصال الطفل وحرمانه من الوالدين من خلال الطلاق، كشكل آخر من فقدان الوالدين، يكون أكثر خطورة على الطفل، وذلك لأن فترة التكيف للإنفصال بالطلاق تكون أطول وأكثر صعوبة من التكيف للحرمان من الوالدين بالموت، هذا بالإضافة إلى أن الطلاق يجعل الطفل يختلف في نظر جماعة الأقران. فإذا سئل الأطفال أين والدهم المفقود أو لماذا يوجد والد جديد محل الوالد المفقود بالطلاق، فإنهم يصبحون محرجين وخجلين، كما أنهم يشعرون بالذنب إذا استمتعوا بالوقت الذي يقضونه مع الوالد المنفصل أو إذا فضلوا العيش معه بدلاً من الذي يتولى رعايتهم (Hurlock، 1983).

من الجدير الإشارة هنا إلى أن هذا التحليل لهارلوك لا يأخذ بعين الإعتبار الإختلافات الثقافية بين المجتمعات. فقولها أن الطلاق قد يكون وقعه على الأطفال أصعب من فقدانهم لوالديهم بالموت، وأن أطفال الطلاق يشعرون بالحرج والخجل أمام زملائهم، قد يكون أنسب لثقافة مجتمع نسبة الطلاق فيه ضئيلة وظاهرة الطلاق فيه غير شائعة فينظر المجتمع إليها على أنها عار وفضيحة، كما هو الحال في مجتمعنا العربي مثلا، في حين أن الأمر قد يبدو عادياً ومقبولاً جداً

في مجتمعات شمال أوروبا التي تصل فيه نسبة الطلاق إلى 40– 50%، مع وجود نسبة كبيرة من الأطفال الذين يولدون خارج مؤسسة الزواج، وذلك لأن إرتباط وولاء الأفراد في مثل هذه المجتمعات يكون فردانياً وأقل منه للعائلة والعشيرة، وكما يقول حليم بركات (1984: 20) فإن أفراد المجتمعات الغربية "علاقاتهم تتصف بعلاقات لاشخصانية، رسمية، تعاقدية، تنافسية، دونما إلتزام بالآخر... لقد لاحظت لدى قدومي لأميركا أن الناس يسيرون في الشوارع كل بمفرده، فيما يسير الناس جماعات في شوارع المدن العربية وأزقتها." فلو حدث طلاقاً في أحد هذه المجتمعات فإن تدخل العائلة لا يكون إلا بشكل بسيط جداً، ولا تنعت المطلقة وأولادها بالعار والفضيحة كما في مجتمعنا العربي الذي تكون فيه العلاقات "شخصانية، وثيقة، لا رسمية، تعاونية، فئوية، يستمد منها الفرد إكتفاءً ودفئاً وإطمئنانا نفسياً، ويلتزم من خلالها التزاماً كلياً بالأقرباء والمقربين في حياته... فيما يشكو بعض العرب من ضرورات الإلتزام بالآخرين وغياب الحياة الخاصة والعيش بموجب توقعاتهم حتى الخوف من كلام الناس والفضيحة، يشكو بعض الغربيين من الوحدة والفراغ والفردية وعدم الإلتزام". إلا أن هذا الإلتزام والولاء للعائلة قد يُنصَف به الرجل وتظلم به المرأة، بحكم كوننا نعيش في مجتمع ذكوري السلطة فية للرجل، حيث توصف المرأة بعد الطلاق وكأنها إرتكبت جرماً كبيراً وأنها لم تستطع المحافظة على زوجها وبيتها وأن "خطيّة الأولاد في رقبتها". فوقع الطلاق على أبناء المجتمعات الأوروبية في دول كالنرويج والسويد قد يكون وقعه أقل من وقعه على أبناء مجتمعنا الشرقي الذكوري، بل قد يكون الطلاق مفضلاً لديهم إذا وصلت الخلافات بين الزوجين وأجواء المشاحنات في البيت إلى حد من شأنه أن يكون شديد الضرر بالأولاد، في حين أن الطلاق يؤدي إلى عيش كل من الأب والأم في بيتين منفصلين وتوزع فيه رعاية الأطفال على كلا الوالدين، كأن يكون الطفل أسبوعاً لدى والده وأسبوعاً لدى والدته بحيث ينال الطفل ما يريد من كل منهما رابحاً من ذلك عدم المشاحنات والخلافات التي

كان يعيشها سابقاً. أما تلك مقولة هارلوك فقد تتناسب مع ثقافة مجتمعنا الشرقي الذكوري، حيث يتمنى الطفل الموت مرات عدة أهون عليه من سماع المعايرات ووصمات العار التي يصفه بها المجتمع ورفاقه وزملاؤه في كل مكان، فالعائلة العربية تنظر إلى طلاق المرأة على أنه عار وفضيحة وكأن المرأة المطلقة إرتكبت جرماً كبيراً، فيراقب المجتمع كل حركاتها وتحسب كل تصرفاتها، لكون مجتمعنا ذكورياً فيه الأب أو الرجل هو السلطة، يسمح له ما لا يسمح للمرأة التي يجب أن تبقى خانعة لأوامر الرجل وطاعته: "يقوم حجر الزاوية في النظام الأبوي و(الأبوي المستحدث) على إستعباد المرأة، من هنا كان العداء العميق والمستمر في لاوعي هذا المجتمع للمرأة ونفي وجودها الإجتماعي كإنسان، هذا المجتمع لا يعرف كيف يعرّف ذاته إلا بصيغة الذكورية وصفتها، ليس للأنوثة من وظيفة فيه إلا تأكيد تفوق الذكر وتثبيت هيمنته"(شرابي،1981: 16). في مجتمع كهذا، يقابل أفراد المجتمع المرأة المطلقة بعبارات تنم عن الإدانة الأخلاقية مثل: "وطيتي رأس العيلة"، "فضحتينا، الله يفضحك" وغيرها، إضافة إلى غضب أولادها الشديد عليها بسبب لومهم لها لأنها أوصلت الأمر إلى الطلاق، الأمر الذي لا يستطيعون فعله تجاه والدهم خوفاً منه، كونه يمثل السلطة العليا وممنوع الخروج على طاعته أو تجاهل أوامره، كما يصفه نور الدين (2000: 15): "فالطفل الصغير في المجتمع العربي يروض منذ الصغر على تقبل سلطة والديه، وبصفة خاصة سلطة الأب، ويطلب منه ألا يثور عليها أو يعارضها، لذا فإن الطفل يجد نفسه مضطراً ما دام لا يستطيع مواجهة هذه السلطة أن يكبت عداءه لها." فالأم في مجتمعنا غالباً ما تدفع الثمن وتكبد الخسارة، خصوصاً إذا مانعت عائلتها إعطاء الزوج حق مشاهدة أطفاله إنتقاما "لما فعله بإبنتهم"، فتبدأ المحاكم والقضايا، ويشرع كل منهم بتشويه سمعة الآخر بهدف نيل حضانة الأبناء، وهذا يؤثر سلباً على الأطفال فيزيد من غضبهم من ناحية وخوفهم وعدوانيتهم من ناحية ثانية، إلى جانب الخسارة التي تُمنى

بها والدتهم (المرأة) في مجتمعنا الشرقي، وكما يقول شرابي (1981: 88): "إن الإضطهاد في مجتمعنا هو على ثلاثة أنواع : إضطهاد الفقير، وإضطهاد الطفل، وإضطهاد المرأة." وفي النهاية تخضع المرأة المطلقة وعائلتها لإرادة الرجل ومجتمعه: "إرمي له أولاده وخليّه يفك عنا، إحنا ناقص علينا نتجرجر في المحاكم والناس تحكي علينا!"

وبالنتيجة فإن أطفال الطلاق في مجتمعنا ليسوا ضحايا الجنس البشري وإنما هم ضحايا الثقافة التي تستبد بالمرأة المطلقة وتقهرها وتفرض عليها التنازل عن حقها، الأمر الذي ينعكس سلباً على أطفالها. ولا يتوقف الأمر على ذلك فحسب، فبعد زواج المرأة قد تكتشف حقيقة زوجها التي لم تعرفها من قبل، كمدمن على الكحول أو المخدرات أو أنه يخونها على سبيل المثال، فيضربها ويضرب أولاده ضرباً مبرحاً، في حين أنها تحاول هي السكوت والإصلاح أو تجبر على أن ترضى بالأمر الواقع لأنه من غير المقبول في مجتمعنا وحسب عاداتنا أن تتسبب الزوجة في سجن زوجها أو أن تلجأ إلى القانون بعد أن فشلت من خلال العائلة، فالمرأة في حكم الثقافة السائدة في المجتمع العربي يجب أن تسكت وتخضع للأمر الواقع لأن الزوج "يبقى زوجها ورجُلها وسترها وغطاها"، الأمر الذي إنتقده شرابي(1981) في كتابه "مقدمات لدراسة المجتمع العربي" وبركات(1984) في كتابه "المجتمع العربي المعاصر" و الجابري(2001) في كتابه "نقد العقل العربي"، فإذا أقدمت المرأة على اللجوء إلى القانون لردع زوجها عن الإساءة إليها وإلى أولادها فإن عائلة زوجها تقوم بطردها هي وأولادها من البيت وبقطع كل أشكال النفقة عنها، ويأخذ الناس في إطلاق عبارات الرفض والإدانة: "سجنتِ زوجك، يا عيب العيب!"، "وحدة زيك بتسوي بزوجها هيك، حرام تكون بينا"، "من وينتى إحنا بنحبس أزواجنا؟!"، "ولك شو ما كان بظل زوجك!" أما أهلها فقد يقبلونها أو يقبلون أولادها في البداية، إلا أنهم بعد ذلك يشعرون أنهم غير مجبرين على رعايتهم والإنفاق عليهم، فيحاولون إرجاع الأولاد إلى بيت جدهم من طرف الأب،

والذي بدوره يرفضهم كوسيلة للضغط على الأم للتنازل عن حقها وإخراج زوجها من السجن، ويضيع الأولاد "بين الأرجل" إلى أن تتلقفهم إحدى المؤسسات. وكأن مقولة المثل العربي "لا برحم ولا بخلي رحمة الله تنزل" تنطبق تماما على الرجل الشرقي، فرغم تشرد أولاده في الشوارع وعدم وجود المأوى والرعاية، إلاّ أنه يكابر ويرفض أن يكون أولاده في المؤسسات، على إعتبار أن ذلك غير مقبول في المجتمع وغير لائق به وبعائلته حسب العادات والتقاليد، ولأنه يؤمن بأن أبناءه ملك له وليس من حق المجتمع أن يتدخل بهم، فيرى أن له الحق أن يفعل بهم ما يشاء: "إبني وأنا حر فيه"، "ما تتدخلوا، إنتوا مش أحرص مني على إبني"، " أقطـْعُه، ألـَحْمُه... ما إلكم فيه". وسوف نرى تأثير ذلك على سلوكيات الأولاد فيما بعد.

النظريات التي تناولت موضوع الإضطرابات السلوكية

هناك نظريات ومدارس سيكولوجية وسسيولوجية عديدة تناولت الإضطرابات السلوكية، وكل منها يعرض تفسيراً وشرحاً للسلوك ويقترح ما يمكن عمله لتغيير السلوك في حالة إعتلاله وإضطرابه، وكل نظرية تتبنى مصطلحاتها وتعاريفها الخاصة بها. وسوف نقوم بعرض موجز لهذه النماذج التصورية أو النظريات بغرض الإلمام بوجهات النظر المختلفة، كما أن الحياة النفسية وسلوك الفرد ليس من البساطة بحيث يمكن القول أن إعتلاله وسواءه رهن بعامل واحد، فسلوك الطفل ما هو إلى محصلة لعديد من العوامل والمواقف المختلفة التي تسهم في تشكيله.

ونظراً لأن هذه النماذج النظرية تنظر إلى السلوك المضطرب في مستويات مختلفة، ولأن حياة الأفراد – كما قلنا – متشكلة من عديد من النواحي، فإن نموذجاً أو أسلوباً واحداً قد لا يكون كافياً لتقديم تفسير كامل لسلوك الفرد المضطرب (Feldman, 1989). أما محاولة الإقتصار على نظرية بعينها فحسب، فإنه قد يؤدي إلى ما أطلق عليه البعض "microscience" أي العلم المختزل، ولذا فسوف نقدم هنا عرضاً مختصراً لهذه النماذج النظرية.

1. النظرية البيولوجية (Biological Theory):

يتم التطرق إلى هذه النظرية تحت مسميات مختلفة، فأحياناً تسمى بالنموذج البيولوجي، وأحياناً تسمى بالنموذج البيوجيني (Biogenic)، وأحياناً أخرى تسمى بالنموذج الطبي (Medical Model). وتفترض النظريات البيولوجية أن هناك أسباباً فطرية أو بيوكيميائية للعديد من إضطرابات السلوك، فالسبب الجذري لإضطرابات السلوك من وجهة النظر البيولوجية يكمن في

فحص عنصر ما فيزيقياً للفرد، مثل عدم التوازن الهرموني، أو خلل كيميائي، أو جرح لجزء ما من الجسم. ولإيجاد الدعم لهذا الإتجاه فقد فحص العلماء أنماط حدوث الإضطرابات في الأسر لإظهار العلاقات الوراثية، أو أجروا دراسات على أمخاخ الأفراد المضطربين أو كيميائهم الحيوية، مستخدمين في ذلك تكنولوجيا فحص المخ والعقاقير لإظهار الإختلافات البيولوجية.

وهكذا فإن أصحاب هذه النظريات يرون أن الفرد لا يمكنه التصرف دون تأثير خصائصه التشريحية الفسيولوجية، وهم يرون أن إضطرابات من قبيل الأوتوسية (الذاتوية) (Autism) أو الفرط الحركي (Hyperactivity) أو العدوان المفرط (Hyperaggression) على سبيل المثال، هي بمثابة مظاهر للإصابة الجينية (Genetic Damage) أو قصور وظيفة المخ (Brain Dusfunction) أو عدم التوازن البيوكيميائي (Biochemical Imbalance)، وهي إضطرابات شديدة الإستجابة أو شديدة القابلية للتحسن بإستخدام الكيماويات.

وتبعاً لهذه النظريات فإن العلاج الناجح لإضطرابات السلوك ينبغي أن يتناول المشكلة البيولوجية الداخلية، وبالتالي فإن هذه النظريات تقترح اللجوء إلى العقاقير، والضبط الغذائي، والرياضة، والجراحة. ومنظور هذه النظريات يساعد على تحقيق النموذج الطبي بالبحث عن الأساس الفسيولوجي لإضطرابات السلوك، وكذلك تقديم الدعم للأساليب البيولوجية لعلاج الإضطرابات السلوكية، وهي تمثل تقدماً أساسياً في تفسيرات السلوك المضطرب القائمة على الخرافات (Feldman, 1989؛ Huffman, 1987؛ Kauffman, 1985; Carson et al, 1988).

2. النظرية السيكودينامية (Psychodynamic):

بينما يرى النموذج الطبي أو البيولوجي السابق أن الأسباب الفسيولوجية هي بمثابة الجذرلإضطرابات الأفراد السلوكية، نجد أن النموذج السيكودينامي يرى أن إضطراب السلوك وشذوذه ينتج عن أسباب داخلية كامنة وراء ما يبديه الطفل من أعراض سلوكية ظاهرة، وبالتالي

يكون التركيز الأساسي ليس فقط على تحديد وتعيين الأعراض السلوكية وإنما على عدم التوازن المرضي (Pathological Imbalance) بين الجوانب الدينامية للشخصية، فسلوك الطفل المضطرب هو مجرد عرض لمرض باطني. فالعالم النفسي الداخلي ليس منفتحاً بسهولة للتفكير الواعي، ولكنه يمارس تأثيراً قوياً على مشاعرنا وسلوكنا، ونعرف أن كثيراً من محتويات اللاشعور، الذي يمثل ملمحاً مركزياً في هذا المنهج، يفترض أنها تكبت لأنها مرتبطة بمشاعر الإثم والصراع أو القلق، وهي مؤلمة لدرجة أن لا تبقى على المستوى الشعوري، وإذا ما أصبح هذا الصراع أو الألم الداخلي غير محتمل بالنسبة للفرد فإنها يمكن أن تظهر كسلوك غير مقبول. غير أنه في حالة الأطفال في هذه السن المبكرة فإن الطفل يعاني من توتر شديد ولكنه يميل إلى إخراج هذا التوتر في صورة فعل موجه إلى العالم الخارجي، أي أنه يميل إلى التفعيل (Acting out) فيظهر إضطرابه في صورة إضطراب السلوك، ولعل هذه الصفة تكثر في الأطفال لأن قدراتهم على تحمل التوتر وتحويل الصراع إلى الداخل، علاوة على قدراتهم اللغوية المحدودة، مما تجعلنا نشاهد بعض هذه الإضطرابات السلوكية في أغلب إضطرابات الأطفال النفسية.

وهكذا فإن السلوك المضطرب الظاهر يكون في جوهره عرضاً للصراع الداخلي، ومن ثم فإن التركيز على إزالة أو قمع العرض دون معالجة المشكلة الداخلية يمكن أن يكون في أحسن الأحوال ذو قيمة محدودة، ولهذا فإن العديد من الإجراءات السيكودينامية في التعليم والعلاج هي الإهتمام بشكل أساسي بتوفير الفرصة لمخارج (Outlets) مقبولة للضغوط الداخلية، بالإضافة إلى إيجاد الراحة والتخفف، فإنه من الأهمية بمكان تحقيق الفهم لبعض أسباب الضغوط والمشكلات الداخلية (Feldman, 1989; Lilly, 1979; Kauffman, 1985; Huffman, 1987; Charlton & david, 1989; Carson et al, 1988).

3. النماذج السلوكية (Behavior Models):

يشار إلى هذه النماذج باسم "تعديل السلوك" (Behavior Modification) أو "نظرية التعلم" أو "النموذج السلوكي"، وعلى الرغم من أن هذا النموذج قد إستمد أصوله من معامل علماء النفس التجريبية من خلال العمل مع الحيوانات، فقد أصبح له تأثير كبير بالنسبة للعمل مع الأفراد، ويشار إليه في هذا السياق بإسم نظرية التعلم الإجتماعي (Social Learning).

وبينما نجد أن هناك حداً مشتركاً بين النموذج الطبي ونموذج التحليل النفسي في رؤية السلوك المضطرب، فكلاهما ينظر إلى السلوكيات الشاذة المضطربة كأعراض لمشكلة داخلية، فإننا نجد أن النموذج السلوكي ينظر إلى السلوك ذاته كمشكلة. ويرفض أصحاب أو مؤيدي هذا الإتجاه كل المحاولات لرؤية السلوك المضطرب كتعبير رمزي للصراعات الخفية ويفضلون أن يستخدموا مصطلح "السلوك اللاتوافقي" (Maladaptive Behavior) للإشارة إلى السلوكيات التي تخلق مشكلات للفرد، وذلك لأن كلمة "عرَض" هي جزء من النموذج الطبي الذي يرفضه أصحاب نظرية التعلم وبدلاً من ذلك فإنهم يركزون على طرق تعلم السلوكيات اللاتوافقية، مثل أن القلق المفرط أو الإكتئاب أو العدوانية مثلا يمكن أن تتعلم من خلال عمليات الإشراط والنمذجة (Modeling)، فالفرد يمكن أن يكتسب السلوك اللاتوافقي بتقليد الأفراد الآخرين الذين يعانون الإضطراب، وفي حالات أخرى يمكن أن يكون السلوك المضطرب نتيجة للتدعيم (Reinforcement) أو آثار للعقاب. فأصحاب هذا الإتجاه ينظرون إلى كل من السلوك الشاذ وغير الشاذ على أنه إستجابات (Responses) لمجموعة من المثيرات (Stimuli)، إستجابات قد عُلمت من خلال الخبرة السابقة ووجهت في الوقت الحاضر وعززت بواسطة المثيرات التي

يجدها الفرد في البيئة. فالمبدأ الجوهري لهذا الإتجاه هو أن السلوك الذي يعزز سواء عرضاً أو عن قصد يميل إلى أن يتكرر أو يزداد قوة، بينما السلوك الذي لا يعزز يميل إلى أن يختفي.

وعليه فإن هذا الإتجاه يرفض الإدعاء القائل بأنه من المهم أن نفهم ما يفكر فيه الفرد، فالمهم في هذا الإتجاه هو تحليل كيفية تعلم الفرد للسلوك الشاذ وملاحظة الظروف التي يظهر فيها هذا السلوك، لكي نشرح ونفسر لماذا يحدث مثل هذا السلوك. وبعبارة أخرى يصبح إهتمام السلوكي أولاً هو القيام "بتحليل سلوكي" يكون بمثابة وصف دقيق ومفصل للسلوك الذي يثير الإهتمام؛ كيف يفصح السلوك عن نفسه وما هي الظروف التي تسبقه وتصاحبه. أما المرحلة الثانية فهي تحليل المعززات التي تعزز السلوك، والمرحلة الثالثة هي البحث عن وسائل تغيير الموقف حتى لا يعزز السلوك المضطرب، أو لكي يعزز نمطاً من السلوك أكثر تقبلاً. وهكذا نجد أن السلوك القابل للملاحظة هو موضع الإهتمام لإحداث تغييرات إيجابية في أداء الطفل. والأساليب السلوكية للتربية هي على حد تعبير كيرك (Kirk, 1972) الأطروحة المضادة (antithesis) للمناهج التحليلية النفسية.

ولقد لاقى النموذج السلوكي حظه من النقد، فهو، شأنه شأن النموذج الطبي والتحليلي، يميل إلى أن ينظر إلى السلوك الفردي على أنه نابع من عوامل خارجة تماماً عن تحكم الفرد، وبالرغم من إختلاف الأسباب، وعلاوة على ذلك فإن الفرد لا يستطيع أن يتغاضى عن الحقيقة الواقعية تماماً بأن لدى الأفراد أفكاراً معقدة غير ملحوظة تؤثر في سلوكهم. ولعل ذلك قاد بعضاً من أنصار هذا المنحى إلى تعديل إتجاهاتهم إلى مناح معرفية (Cognitive)، وقد توسع النموذج السلوكي بواسطة إضافات كهذه، فنجد هناك ما يسمى "التعديل السلوكي المعرفي" الذي تقوم نظريته على تأثير التعلم الإجتماعي على تغيير السلوك الظاهري القابل للقياس (Charlton & Kenneth, 1989; Kauffman, 1985; Feldman, 1989).

4. النماذج الإنسانية (Humanistic Models):

لعلنا نتساءل إذا ما كان هناك نموذج للسلوك الشاذ يمكن أن ينظر إلى الفرد على أنه يملك سيطرة وتحكماً تاماً بسلوكه. والحقيقة أن هذا السؤال منطقي في ضوء النماذج الثلاثة السابقة، فكل منها يرى الفرد على أنه يشبه قطعة الشطرنج، محاصر بمشكلات فسيولوجية وصراعات لاشعورية ومثيرات بيئية توجهه وتدفع سلوكه. وعلى النقيض من ذلك، نجد أن أصحاب النموذج الإنساني يؤكدون على السيطرة والمسؤولية التي يملكها الأفراد تجاه سلوكهم، حتى حينما يكون هذا السلوك شاذاً. فالنموذج الإنساني يركز على تفرد الفرد، وينظر إليه بإعتباره منطقياً(Rational) موجهاً تجاه عالم إجتماعي ومدفوعاً للبقاء مع الآخرين، ولهذا فإن هذا النموذج يمثل رداً مضاداً على وضعية العلوم الإمبيريقية، ولهذا فهو يرفض التفسيرات الميكانيكية للسلوك الإنساني أو التعميمات القائمة على العمليات السببية. فالمناهج الإنسانية في تناولها للسلوك في سوائه أو إضطرابه، تركز على علاقة الفرد بالعالم، وعلى الطريقة التي ينظر بها الأفراد إلى أنفسهم في علاقاتهم بالآخرين. فالأفراد حينما ينمّون مشاعر من إنعدام القوة والإحباط بدلاً من المسئولية وتقدير الذات، فإنهم غالباً ما ينغمسون في سلوكيات لاتوافقية مضطربة، ومن ثم فإن ما يسمى بالسلوك المضطرب هو أساساً علامة على عدم قدرة الفرد على تحقيق وإشباع الحاجات الإنسانية، ويصبح علاج هؤلاء الأفراد هو مساعدتهم على أن يشعروا بشكل مختلف نحو أنفسهم، مما يقودهم إلى تحقيق إعتبارها وتقديرها.

ولعل ذلك يتفق مع ما يقره كيرك (1972) من أن إضطرابات السلوك ومشكلات التعلم هي نتيجة لما أسماه "حلقة الشر" (Vicious Cycle) والتي فيها يؤدي الأداء السلوكي والتعليمي

الضعيف إلى إنخفاض مفهوم الذات، والذي يؤدي بدوره إلى أداء أضعف، وهكذا. ويشير (Gobell, Worster & Bird، 1980) إلى أن هناك عدة نقاط أساسية في هذا المنهج الإنساني تعد بمثابة تطبيقات عملية، فهناك تركيز على قيمة العمل في مجموعات صغيرة للرعاية وتطوير المهارات الجمعية للإستماع والمشاركة، في حين أن فوائد مثل هذه الأنشطة هي فوائد معرفية وعاطفية، حيث يتم تشجيع الأفراد على إحترام إدراكات الآخرين ووجهات نظرهم ومشاعرهم، ومن خلال ذلك كله فإن الأفراد يحققون الإحترام لإدراكاتهم ووجهات نظرهم بسبب التغذية المرتجعة الإيجابية (Positive Feed Back) التي يحصلون عليها من الأعضاء الآخرين، وهكذا فإن صورة الذات لديهم تتحسن، فينعكس ذلك على سلوكهم وأدائهم المدرسي.

وهكذا، فإن النموذج الإنساني، بدلاً من إفتراض أن هناك شيئاً ما خطأ داخل الفرد، يرى السلوك المضطرب بإعتباره رد فعل منطقي على الظروف التي يعيشها الفرد في حياته اليومية، وأن لدى الأفراد درجة عالية نسبياً من التحكم في حياتهم والقدرة على ممارسة إختيارات منطقية للتغلب على مصاعبهم إذا ما أحسوا أن سلوكهم يحتاج إلى بعض التصحيح والتعديل، والطريقة التي يحققون بها مثل هذا التعديل هي إستطلاع طرق للبحث عن مستويات أخرى من تحقيق الذات. وبذلك يعمل هذا الإتجاه، لا على مساعدة الأفراد ذوي المشكلات فحسب ، بل على الوقاية ومنع المشكلات بإستثارة وحفز مفهوم الصحة العقلية المثالية (Feldman ,1989; Kauffman, 1985; Charlton & David, 1989; Huffman, 1987; Kirk, 1970; Carson et al, 1988).

5. منهج النظم (Systems approach):

يدعى هذا المنهج أحياناً "النموذج الإيكولوجي" وأحياناً أخرى "النموذج الإجتماعي–الثقافي. وقد شاع هذا المنهج في مشروع "إعادة التعليم" (Re-Ed)، وهو برنامج علاجي إقامي قصير المدى بدأ في تينيسي (Tennessee) في منتصف عام 1960. ويؤكد هذا المنهج على أن إضطراب السلوك ليس ظرفاً خاصاً بالأطفال وإنما ظرف خاص بالأطفال في تفاعلهم مع بيئاتهم، ولهذا يؤكد على التغيير في كل من الأطفال وبيئاتهم، أو تغيير وتعديل سلوك الطفل وتعديل الآخرين الموجودين في بيئته (كالوالدين، والأقران، والمدرسين).

وهكذا فإن هذا النموذج يرى أن كل طفل مشتبك في عدد من النظم (خصوصاً الأسرة والمدرسة)، وأن السلوك الفردي للطفل يمكن أن ينظر إليه نظرة ذات معنى في هذا النوع من السياق. فالطفل واقع في نظام إجتماعي معقد كمرسل ومستقبل، وكمثير ومستجيب، في تفاعلات إجتماعية مع الأطفال والراشدين الآخرين، وفي أدوار وأوضاع متباينة. وسلوك الطفل، المضطرب وغير المضطرب، يتشكل من خلال نوع النظم أو الجماعات المشارك فيها: الأسرة، والمدرسة، والمجتمع، والثقافة. فأنواع الضغوط والصراعات التي يختبرها الطفل كجزء من التفاعلات اليومية مع شبكة العلاقات الإجتماعية أو مع النظم المحيطة به ، يمكن أن تثير وتحفز وتستبقي السلوك الشاذ المضطرب.

ولهذا فإن نظرية النظم ترى ضرورة تفسير السلوك في هذا السياق الإجتماعي، وهناك بعض العناصر من هذه النظرة في النماذج الأخرى التي تناولناها أعلاه، إلا أن نموذج النظم هو صرخة بعيدة عن المناهج الأخرى. والجوهر المركزي لهذا المنهج بسيط، فالإنسان حيوان إجتماعي وسلوكه إجتماعي يعرّف بالضرورة في إصطلاحات إجتماعية، ومن ثم فإذا ما كان سلوك الطفل سبباً لأي إهتمام فإنه يكون شديد الميل إلى أن يكون مرتبطاً بشكل ما بمصفوفة

من العلاقات الإجتماعية حوله. وحتى في الحالات التي يمكن فيها تحديد أصل المشكلة جسديا والتعامل معها على أنها حالات طبية محدودة، فإن الطريقة التي تعلن بها المشكلة عن نفسها، وردود أفعال الآخرين تجاهها، ورد فعل الطفل لهذه الردود، غالبا ما تتأثر بالعلاقات السابقة الوجود في نظام إجتماعي معين، وعلاوة على ذلك فإن النظم الموجودة، كالأسرة والمدرسة وجماعة الأقران، يرتبط كل منها بالآخر بطرق قد تكون هامة في فهم مشكلة الطفل الفردية. (Lilly, 1979; Kauffman, 1985; Charlton & Kenneth, 1989; Feldman, 1979).

6. نظرية الوصف "المسميات" (Labeling Theory):

النموذج الأخير الذي يشارك منهج النظم في رفض فكرة أن السلوك الفردي أو المشكلات يمكن أن ينظر إليها بشكل هادف خارج السياق، هو نظرية الوصف. ويمضي هذا النموذج الأخير أبعد من غيره في معارضة وتحدي المفهوم المتطرف للإنحراف الفردي. وتنسب هذه النظرية عادة إلى السوسيولوجي الأمريكي بيكر (Becker، 1962) الذي يرى أن الإنحراف ليس شيئاً داخلياً أصيلاً في الفرد، بل هو يخلق بواسطة المجتمع، وهكذا فإن النظام الإجتماعي يضع قواعد وتوقعات معينة من الأفراد، وحينما تكسر هذه القواعد أو ترتبك هذه التوقعات يحدث الإنحراف. أما المفهوم الآخر الذي يشكل جانباً من هذا النموذج فهو الوصف (Labeling).

وتمثل نظرية الوصف، شأنها شأن النظريات الإنسانية، رفضاً للحتمية ووضعية العلم التجريبي التقليدي، ويُبرز هارجريفز وآخرون (1975) الإختلاف بين أنواع الأسئلة المصطنعة من قبل العلماء التجريبيين من جهة وعلماء نظرية الوصف من جهة أخرى، فقد أنطلق التجريبيون ليضعوا محكات قابلة للقياس يمكن بواسطتها تحديد وتصنيف مشكلة السلوك، ومن ثم فهم

يسألون عن العوامل السببية والعلاقات المرتبطة، وأخيراً فهم يسعون إلى إكتشاف كيفية التنبؤ والوقاية والشفاء للحالة. وعلى الجانب الآخر، يتساءل علماء نظرية الوصف عن الظروف أو الحالات التي تؤدي إلى أن يصنف الفرد بإعتباره مضطرباً أو ذا سلوك إشكالي، وكيف تغيرت إتجاهات الأفراد الآخرين وأفعالهم كنتيجة لهذا التصنيف، وكيف إستجاب الفرد لكونه مرفوضاً في هذا الدور، وهكذا.

وفي السياقات التعليمية يسمى هذا النموذج أحياناً بالمنهج التفاعلي (Interactionist)، فهذا النموذج يؤدي بمن يزاول المهنة إلى أن يسأل عما إذا كان الطفل مشكلاً طيلة الوقت ومع جميع المدرسين، وإذا لم يكن الأمر كذلك فإن الأخصائي يستكشف بشكل أفضل طبيعة التفاعلات التي كانت تمثل المشكلة، وكذلك يكون متيقظاً خصوصاً للتأكد بقدر الإمكان من أن الصفة المجردة للوصف لم تكن نفسها تؤثر في الموقف بشكل غير ملائم (Charlton&Kenneth, 1989).

وأخيراً، وبعد هذا العرض لهذه النظريات، يمكننا القول أن النتائج التي تدعم أسلوباً أو نموذجاً من هذه النماذج النظرية لا تؤدي حتماً وبشكل آلي إلى تخطيء النماذج الأخرى، فكل منها يركز إلى حد ما على عناصر مختلفة من السلوك والحياة. ويمكننا أن نذهب مع ما يذهب إليه دافيى (Davie، 1986) وخصوصاً في مجال سلوك الأطفال والنمو، إلى أن هناك إنتقال تدريجي من المنظور السيكولوجي الضيق إلى أسلوب أو منهج سياقي (Contextualized) إجتماعي أحياناً. إنها فترة يمكن أن توصف بأنها حركة من المنهج المفرد (Individualized) إلى منهج النظم، ومن الذرية (atomistic) إلى الكلية (holistic)، ومن الميكروسكوبي (Micro) إلى الماكروسكوبي (Macro) (Charlton & Kenneth, 1989).

النظريات التي إستبعدتها الدراسة أو إعتمدتها

بعد عرضي لتلك النظريات السابقة فقد تم إستبعاد النظرية السيكودينامية التي ترى أن سلوك الطفل المضطرب هو مجرد عرض لمرض باطني أو مشكلة داخلية. وإستبعدت النظرية الإنسانية التي ترى السلوك المضطرب بإعتباره رد فعل منطقي على الظروف التي يعيشها الفرد في حياته اليومية. وإستبعدت نظرية الوصف أوالمسميات التي ترى بأن النظام الإجتماعي يضع قواعد وتوقعات معينة من الأفراد، وحينما تكسر هذه القواعد أو ترتبك هذه التوقعات يحدث الإنحراف. كما وإستبعدت النظرية البيولوجية التي تفترض أن هناك أسباباً فطرية أو بيوكيميائية للعديد من إضطرابات السلوك، فالسبب الجذري لإضطراب السلوك من وجهة النظر البيولوجية يكمن في عنصر ما فيزيقياً، إلا أن هذه النظرية دحظت ووجهت إليها إنتقادات كثيرة إذ أنها نظرية قديمة أهملت تأثير وفاعلية العوامل الأخرى على تكوين سلوكية الفرد، ومن العلماء الذين إنتقدوا هذه النظرية(يلجرزمة) حيث قال أنه ليس لأية صفة من الصفات الجسمية قوة بحد ذاتها يمكن أن تكون أساساً للنزعة إلى الإنحراف السلوكي. فهذه النظريات لم تصلح ولم تشكل الأساس النظري لبحثي أو دراستي في حين تم تبني وإعتماد النظرية السلوكية، حيث أن النموذج السلوكي ينظر إلى السلوك ذاته كمشكلة، فأصحاب هذا الإتجاه ينظرون إلى كل من السلوك الشاذ وغير الشاذ على أنها إستجابات لمجموعة من المثيرات، إستجابات قد علمت من خلال الخبرة السابقة ووجهت في الوقت الحاضر وعززت بواسطة المثيرات التي يجدها الفرد في البيئة، فالمبدأ الجوهري لهذا الإتجاه هو أن السلوك الذي يعزز سواء عرضاً أو عن قصد يميل إلى أن يتكرر أو يزداد قوة، بينما السلوك الذي لا يعزز يميل إلى أن يختفي، وبعبارة أخرى يصبح إهتمام السلوكي أولاً هو القيام بتحليل سلوكي وثانياً تحليل المعززات التي تعزز السلوك وثالثاً البحث عن وسائل تغير الموقف حتى لا يعزز السلوك المضطرب، أولكي يعزز نمطاً من

السلوك أكثر تقبلاً، وهكذا نجد أن السلوك القابل للملاحظة هو موضع الإهتمام لإحداث تغيرات ايجابية في آداء الطفل.

فنظرية التعلم الإجتماعي تعرف أيضاً بنظرية التعلم بالملاحظة أو نظرية التعلم بالنمذجة، وهي من النظريات الإنتقائية، تنطلق من إفتراض رئيسي مفاده أن"الإنسان كائن إجتماعي يعيش ضمن مجموعة من الأفراد يتفاعل معها ويؤثر ويتأثر فيها"، وبذلك فهو يلاحظ سلوكات وعادات وإتجاهات مجموعة من الأفراد يستطيعون تعلم العديد من الأنماط السلوكية لمجرد ملاحظة سلوك الآخرين، حيث يعتبر هؤلاء بمثابة نماذج تم الإقتداء بهم وبسلوكياتهم. وهذا يتطابق تماماً مع ما تقوم به تلك المؤسسات الداخلية من تركيزها على التجربة المصححة بوجود النموذج الذي يحتذى بسلوكه وبتصرفاته من قبل الأطفال من خلال وجود المرشد الذي يمثل دور الأب أو الأخ الأكبر والمرشدة التي تمثل دور الأم أو الأخت الكبرى.

والنظرية الثانية التي تم تبنيها وإعتمادها من قبل دراستي هي نظرية أو منهج النظم والتي تسمى أيضاً بالنموذج الإجتماعي الثقافي أو ما يطلق عليه بمشروع "إعادة التعليم"ويؤكد هذا المنهج على أن إضطراب السلوك ليس ظرفاً خاصاً بالأطفال وإنما ظرف خاص بالأطفال في تفاعلهم مع بيئاتهم، ولهذا يؤكد على التغير في كل من الأطفال وبيئاتهم، أو تغير و تعديل سلوك الطفل وتعديل الآخرين الموجودين في بيئته كالوالدين والأقران والمدرسين.

وهكذا فإن هذا النموذج يرى أن كل طفل مشتبك في عدد من النظم خصوصاً الأسرة والمدرسة وفي دراستي هذه(المؤسسة الداخلية) التي يعيش فيها، فالسلوك الفردي للطفل يمكن أن ينظر إليه نظرة ذات معنى في هذا النوع من السياق، فالطفل واقع في نظام إجتماعي معقد كمرسل ومستقبل، وكمثير ومستجيب، في تفاعلات إجتماعية مع الأطفال والراشدين الآخرين، وفي أدوار وأوضاع متباينة، وسلوك الطفل المضطرب وغير المضطرب يتشكل من خلال نوع النظم أو

الجماعات المشارك فيها وخصوصاً الأسرة. حيث أن المؤسسات الداخلية تركز كثيراً على دور الأسرة وإعطائها الأدوار والمهام المختلفة وتفعيل دورها ووظيفتها تجاه طفلها وإرشادها وتوجيهها في تعاملها وعلاقتها معه لما لها من تأثير كبير في تغير وتعديل سلوكه.

الدراسات السابقة

إن أطفال مؤسسات التربية الإجتماعية فئة من فئات المجتمع الذين يعتبرون ضحايا لظروف لا ذنب لهم فيها، ونتيجة لفقدانهم الأسر التي ترعاهم وتوجههم فإن ذلك يؤدي إلى معاناتهم من مشكلات وصعوبات في حياتهم، ولذا فإن الجهود يجب أن تبذل لتعويضهم عن الحرمان من الرعاية الأسرية، ولمساعدتهم على التكيف في مجتمعهم ليكونوا أعضاء فاعلين فيه. وإن كانت الرعاية من خلال مؤسسات إيوائية ليست الأسلوب المفضل في رعاية تلك الفئة، إلا أنها تعتبر أحد الخيارات المطروحة، فرعاية الأطفال في المؤسسات الإيوائية في جو قريب من أسرهم الأصلية يجنبهم الكثير من الإضطرابات السلوكية والمشكلات النفسية والإجتماعية، ويساعد على تنشئتهم تنشئة صالحة ليصبحوا أعضاء فاعلين في مجتمعهم.

إن الإتصال والتواصل بين الأهل وأطفالهم في المؤسسات الإيوائية له الوقع الكبير على تحسين وضع الأطفال وتعديل سلوكهم، حيث يشكل الأهل مصدر القوة والدعم لهم، الأمر الذي ينعكس على الجوانب المختلفة لشخصيتهم. ولكن على الرغم من أهمية ذلك التواصل فهناك الكثير مما يعيقه، فالفقر لدى بعض الأسر يعتبر أحد العوامل المانعة الأساسية (حيث أن معظم الأطفال في المؤسسة هم من أسر ذات وضع إقتصادي سيء للغاية)، فتقوم أسر كهذه بإيداع أطفالها في المؤسسة دون السؤال عنهم ولفترات طويلة، منشغلة عن ذلك في البحث عن مصادر عيش للإنفاق على باقي أفراد الأسرة الذين لم تتح لهم الفرصة للدخول إلى المؤسسة. كما أن هناك عامل آخر، ففي حالة الإنفصال أو الطلاق بين الوالدين قد يتزوج الأب والأم كل من طرف آخر وينشغل كل منهما بحياته الجديدة وينسى أن له طفلاً من واجبه زيارته والسؤال عنه ومتابعته، حيث أن الكثير من الأمهات لا يسمح لهن بعد زواجهن من آخر بالتواصل مع أطفالهن، بل قد

يكون عدم زيارة الأم لأطفالها شرطاً من قبل زوجها للزواج بها، في حين أن الأم التي طلقت ولم تتزوج تصطدم بعوائق عدة في تواصلها مع أطفالها، منها الوضع الإقتصادي السيئ، والوضع الإجتماعي في مجتمعنا العربي الذكوري الذي يفرض سيطرته على المرأة من قبل من يتولى أمرها، فهي بعد طلاقها لا يسمح لها بالخروج والدخول كما تشاء بالذات إذا عادت للعيش مع أهلها، خوفاً منهم عليها وبحجة المحافظة على سمعتها، وحتى تتمكن من زيارة طفلها في المؤسسة فلا بد من إنتظارها لأخيها أو والدها لمرافقتها. كذلك هناك الأسر التي يعيش الزوج والزوجة سوياً ولكنهما يكونان منشغلان بمشاكلهما الزوجية التي يساعد الإحتلال الإسرائيلي في خلقها في مجتمعنا الفلسطيني، وخصوصاً في شرقي القدس، كإدمان رب الأسرة على المخدرات بتسهيلهم له الحصول عليها، وإتاحة الفرصة أمام الزوجة للتشكي على زوجها في حالة حدوث شجار بينهما، الأمر الذي يجعل عائلة الزوج تنفر منها وتعاديها ويدفع المجتمع المحيط بها إلى تحميلها مسؤولية ما فعلت. في كل هذه الحالات تحول الظروف دون تواصل الأهل مع طفلهم ومع طاقم العاملين في المؤسسة الداخلية، فلا زيارة ولا نزهة مشتركة ولا مشاركة ببرامج أو مجموعات هدفها تحسين وضع طفلهم، الأمر الذي ينعكس سلباً على الطفل.

تشير الدراسات إلى أن الحرمان من الرعاية الأسرية وما يترتب عليه من الإقامة في مؤسسات إيوائية يؤثر تأثيراً كبيراً على الطفل ويترك بصماته في حياته وعلى شخصيته حتى بعد ما يكبر. ففقدان الوالدين أو أحدهما وما ينجم عنه من عدم إشباع إحتياجات الطفل الضرورية، يؤدي إلى "أن يصبح الطفل متوجساً خائفاً وأقل إقداماً على المنافسة والإبداع والمواجهة مع أقرانه، ويبدو ذلك في صور عديدة، كالخجل والتردد، والإنطواء، والحرص الشديد، والعدوان، وعدم المبالاة. والعكس صحيح، فإشباع إحتياجات الطفل يجعل منه شخصية إيجابية متعاونة قادرة على تحمل المسؤولية والتكيف والتوافق داخل محيطه البيئي." (الجميلي وعبدة، 1995: 109) فالحرمان

الطويل أو عدم التواصل المستمر وبقاء الطفل في المؤسسة لفترة طويلة دون الإتصال بينه وبين أهله، يسهم في ظهور الإضطرابات والأعراض السيئة على الطفل. وقد قام ميشيل(1979) بدراسة أثر الإقامة الطويلة في المؤسسات الإيوائية على الأطفال الذين تم إيداعهم فيها في العام الأول من أعمارهم، وكانت عينة الدراسة عبارة عن 579 طفلاً تتراوح أعمارهم بين 11- 15 عاماً، كانوا قد مكثوا فترات طويلة في المؤسسات قبل إنتقالهم إلى أسر بديلة تتبناهم. وتوصلت الدراسة إلى أن الأطفال الذين مكثوا في المؤسسة أكثر من ستة شهور كانوا منخفضين من حيث توافقهم الشخصي والإجتماعي، وكانوا أكثر عدوانية وتوتراً وأقل نضجاً وتواصلاً مع الأقران مقارنة بالأطفال الذين قضوا في مؤسسة فترة قصيرة لم تتجاوز الستة شهور، كما أبدى أطفال المجموعة الأولى إنخفاضا في معدل الدرجات المدرسية وفي قدراتهم على التركيز (Micheal، 1979: 111-117).

ومن الدراسات وثيقة الصلة بدراسة ميشيل ونتائجها، تلك الدراسة التي قام بها فاليندر ومهرابيان (Falender & Mehrabian, 1979) عن تأثير الإقامة في بيوت الرعاية على الإستجابات الإنفعالية للأطفال المنفصلين عن والديهم، وذلك على عينة من الأطفال تراوحت أعمارهم بين 5-8 سنوات، وقد تم إيداعهم داخل هذه المؤسسات في سن مبكرة. وأوضحت النتائج أن هؤلاء الأطفال المقيمين في هذه البيئة يعانون عادة من الشعور بالقلق والخوف، وبالأسى والحزن، كما وينتج عن طول مدة الإقامة تأثير سلبي على المستوى العقلي والإجتماعي لهؤلاء الأطفال (241- 255).

ومن الدراسات المحلية التي تناولت أثر خبرة الإيداع في المؤسسات كعامل هام وخطير في موضوع الحرمان من الرعاية الوالدية، تلك الدراسة التي قامت بها مديحة العزبي (1980)، حيث هدفت الباحثة إلى دراسة بعض المتغيرات النفسية والإجتماعية المرتبطة بالمكانة السوسيومترية

للأطفال المحرومين من الوالدين والمودعين في المؤسسات من حيث آثار خبرة الإيداع على نموهم النفسي وتكيفهم الإجتماعي وإتجاهاتهم نحو الذات والآخرين ومستوى قلقهم، ومقارنتهم بالأطفال المحرومين من الرعاية الوالدية والذين يعيشون في وسط أسري مفكك. وكانت عينة الدراسة عبارة عن 51 طفلاً من الصف الرابع والخامس والسادس الإبتدائي، تتراوح أعمارهم بين 10- 13 سنة، ويقيمون في مؤسسات للرعاية منذ عامين، إضافة إلى 48 طفلاً في نفس المرحلة العمرية والدراسية غير أنهم يقيمون مع أسرهم ولكنهم محرومين من الرعاية الأسرية بسبب تفكك الأسرة. وتوصلت الدراسة إلى فروق دالة إحصائياً بين المجموعتين المدروستين بالنسبة لمفهوم الذات، لصالح مجموعة أطفال الأسر، وكذلك فيما يتعلق بمقياس إعتماد الطفل على نفسه وفي مجموع التوافق الشخصي، وفي بعض أبعاد التكيف الإجتماعي وتكوين الصداقات، وكذلك في المكانة السوسيومترية، وكانت مجموعة أطفال الأسر أفضل من أطفال المؤسسات في هذه الجوانب (العزبي، 1980).

ولا يقف التأثير الضار لخبرة الإيداع في المؤسسات عند هذا الحد، بل يمتد لينال من صحة الطفل العقلية، وقد توصل سومان (Suman، 1986) إلى أن الأطفال المحرومين من الوالدين والذين أودعوا في المؤسسات منذ عمر مبكر كانوا أضعف من حيث الصحة العقلية، كما لوحظت المشكلات السلوكية التي تستدعي المساعدة المباشرة والعاجلة في حوالي 33% من حالات هؤلاء الأطفال (Suman، 1986: 137، 146).

إن فقدان الجو الأسري يؤثر على الطفل سلباً، وقد يفقده مقومات شخصيته، وربما بعض الخصائص الإنسانية، كالرغبة في الإجتماع مع الآخرين، والتعاون وإقامة العلاقات معهم. وتعتبر حاجة الفرد إلى أن يحب ويحب من الحاجات الأساسية للطفل، والتي يتم إشباعهامنذ الصغر من خلال الوالدين،خاصة الأم، والطفل الذي فقد عاطفة الحب من أسرته، وقد لا يعرف

ماذا تعني هذه العاطفة، من المتوقع أن يفقد هذه العاطفة عند تعامله مع الآخرين، لذا فإن الحرمان من الرعاية الأسرية من أهم المؤثرات السلبية على نمو الأطفال الجسمي والنفسي والإجتماعي والعقلي(الحوات وآخرون،1989). ففي دراسة Lemmens et (2004) حول مشكلات الصحة العقلية في المؤسسات الإيوائية للأطفال المحرومين من الوالدين، حيث إشتملت الدراسة على 300 طفل محروم تم إختيارهم من 16 مؤسسة إيوائية للفئة العمرية من 12–16 سنة، وكذلك على مسؤولي المؤسسات الإيوائية، وتم الإستعانة بتقارير وسجلات المؤسسة عن المحرومين، فقد أظهرت تلك الدراسة أن أكثر المشاكل شيوعاً لدى المحرومين هي: السلوك العدواني، السرقة، الكذب، مظاهر الكآبة، ضعف الشخصية والقلق، كما أن ما يقارب من ثلث المحرومين أظهروا مشكلات سلوكية.

وفي دراسةالمسعود(2005)على 420 طفلاً تتراوح أعمارهم بين9و12 سنة من الأطفال الذين يعيشون مع أسرهم الطبيعية، وأطفال يعيشون في قرية الأطفال، وأطفال يعيشون في مؤسسات ايوائية، أظهرت الدراسة أن السلوك الإجتماعي والسلوك الإنفعالي أفضل لدى الأطفال العادين مقارنة بأطفال القرية وأطفال المؤسسات، وأن هذين السلوكين أفضل لدى أطفال القرية مقارنة بأطفال المؤسسات.

وفي دراسة شاهين(2005)على 96 طفلاًمن الذكور والإناث، نصفهم من أطفال المؤسسة المحرومين من رعاية الأسرة الطبيعية، والنصف الآخر من الأطفال الذين يقيمون مع أسرهم الطبيعية، وتضمنت الدراسة أولياء أمور الأطفال العاديين(48 أباً وأماً)، والأمهات البديلات للأطفال المقيمين في المؤسسة(23 أماً)، وكذلك13 مدرساً ، وقد أظهرت الدراسة أن العدوانية لدى أطفال المؤسسة هي المشكلة الأولى التي يعانون منها، كما تمثل الأنانية مشكلة أساسية

لـدى أطفـال المؤسسـة مـن وجهـة نظـر الأمهـات البـديلات، ومـن وجهـة نظـر معلمـاتهم فـإن المشكلات الأساسية للأطفال في المؤسسة هي الشعور بالقلق والتوتر وعدم الإستقرار.

وقام البياتي (2006) بدراسة 118 حدثاً(82 من الذكور و36 من الإناث) من المقيمين في دور لرعاية الأحداث، وكان نصفهم من الأحداث الفاقدين للوالدين، والنصف الثاني من الأحداث غير الفاقدين للوالدين، وكانت أعمارهم تتراوح بين 12–18 سنة، وقد إستخدم الباحث صورة معربة من إختبار ساكس لإكمال الجمل، وهو يحتوي على أربعة أبعاد للشخصية وهي: الأسرة، الجنس، العلاقات الشخصية المتبادلة، مفهوم الذات، وقد أظهرت الدراسة أن هناك فروقاً دالة في جميع أبعاد الإختبار بين الأحداث الفاقدين للوالدين والأحداث غير الفاقدين للوالدين، لصالح الأحداث غير الفاقدين للوالدين، ففاقدو الوالدين شديدو الإنزعاج ويتهربون من مواجهة المواقف الصعبة، وكذلك من نظرات سلبية تجاه الجنس والمرأة، وكذلك مخاوف من المجهول ومن أنفسهم ومن الليل والحيوانات، ويخشون من التعامل مع الكبار والأصدقاء، ولديهم نظرة سلبية للمستقبل.

وقد أظهرت دراسة ديفال وآخرين(Devall et,2008) أن لفقدان أحد الوالدين تأثيراً كبيراً على الأطفال، ففي دراستهم على أطفال تتراوح أعمارهم بين 9و12 سنة، بعضهم يعيش مع أحد الوالدين والآخر يعيش مع كليهما، وجدوا أن المجموعة الأولى من الأطفال تتصف بقلة تحمل المسؤلية، وقلة العلاقات الإجتماعية والزيارات مع الآخرين، مقارنة بالمجموعة الثانية.

وقامت ناصيف(2009) بدراسة مجموعتين من الأطفال الذكور والإناث بلغ عددهم 106، تمثل المجموعة الأولى الأطفال المحرومين من رعاية الوالدين، ويقيمون في دار الحضانة بمدينة الرياض، وتتراوح أعمارهم من 3 إلى6 سنوات، وتم أخذ جميع الأطفال في الدار حيث كان عددهم 53 طفلاً منهم 40 ذكراً و 13 أنثى، وتمثل المجموعة الثانية عينة من الأطفال العاديين من مدارس رياض الأطفال في مدينة الرياض وكان عددهم 53 طفلاً، تم إختيارهم بالتوزيع

الجنسي والعمري نفسه للمجموعة الأولى، وقد أظهرت الدراسة أن هناك فروقاً بين الأطفال المحرومين من رعاية الوالدين والأطفال العاديين، لصالح الأطفال العاديين، في جوانب تشمل: الثقة بالنفس، وفي النمو الإجتماعي ككل، والنمو الإجتماعي المتعلق بتواصل الفرد مع غيره، وتوجيه النفس الذي يعكس إستقلالية الفرد، والتنقل والحركة، والتطبيع الإجتماعي(أنشطة متعلقة بالبيئة المحيطة من أشخاص وأشياء)، وقد عزت الدراسة تلك الفروق إلى فقدان الشعور بالأمن والطمأنينة، وفقدان القدوة التي يحتذى بها وتحاكى في تلك الجوانب لدى أطفال الحضانة.

تشير كثير من الدراسات سواء العربية منها أو الأجنبية إلى أن الحرمان من الوالدين جراء الطلاق والخلافات الأسرية له وقع سلبي أكبر على الأطفال من جوانب مختلفة سواء إجتماعية أو نفسية أو سلوكية أكثر من الحرمان بسبب الوفاة ومن هذه الدراسات دراسة Barish (2002) في دراسته لمفهوم الذات للأطفال الذين حرموا من الأب بالطلاق، وذلك على عينة من الأطفال بلغت(204 ذكراً،202 أنثى) تم تقسيمهم الى مجموعتين: الأولى، فئة الأطفال الذين إنفصلوا عن آبائهم ولم تتزوج أمهاتهم ثانياً، والثانية، فقدوا الأب بالطلاق وتزوجت أمهاتهم مرة أخرى، ومجموعة أخرى بلغت (347) طفلاً لم يخبروا الحرمان من الأب كمجموعة ضابطة، وتراوحت أعمار الأطفال فيما بين 9–15 سنة، وأظهرت النتائج أن الأطفال الذين إنفصلوا عن الأب سواء الذين تزوجت أمهاتهم أو لم تتزوج أظهروا نقصاً في مفهوم الذات عن الأطفال المقيمين مع آبائهم، ولقد وجدت هذه النتائج عبر المراحل العمرية المختلفة للعينة ولدى كل من الجنسين، أن تأثير غياب الأب كان ضاراً على مفهوم الذات لدى الجنسين. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة بيومي(2001) حيث تناول تأثير نوعين من الحرمان الأموي، الحرمان التام بالوفاة، والحرمان بالإنفصال بالطلاق على بعض نواحي التكيف الشخصي والإجتماعي لدى مجموعة من الأطفال محرومين من الأم بالوفاة(20طفل وطفلة) ممن يعيشون مع أسرهم وتراوحت أعمارهم

من 2–5سنوات، وأسفرت النتائج عن وجود إرتباط سالب بين درجة الحرمان من الأم ودرجة التكيف الشخصي والاجتماعي للطفل نتيجة الطلاق أكثر منه نتيجة الوفاة وذلك لدى كل من الجنسين.

وهناك دراسة تتفق نتائجها مع تلك الدراسات وهي دراسة لهيثرينجتون(Heatharington,1997)، والتي أجريت على(36 ذكراً،36 أنثى)، من مدرسة حضانة ووالديهم المطلقين، وكانت حضانة الطفل مع الأم، وكانت هناك مجموعة ضابطة من نفس العدد من الأطفال والوالدين من الأسر المتماسكة، وأظهرت النتائج أن الأطفال من الأسر المطلقة يؤدون وظائفهم بكفاءة أقل من الأطفال في الأسر كثيرة الخلاف، والذين أظهروا في المقابل مشكلات أكثر من الأسر قليلة الخلاف، بالإضافة إلى ذلك فقد أبدى الأطفال الذكور في الأسر المطلقة سلوكاً عدوانياً مشاكساً وإعتمادية وإندفاعية، وكذلك يخلص البحث أنه يبدو أن الطلاق أكثر نفاذاً وأطول إستمراراً بالنسبة للأولاد عن البنات، فلم يظهر البنات إختلافاً في تفضيلهم للدور الجنسي، فقد حصل الأولاد على درجات أقل مما حصلوا عليه من قبل في تفضيل الدور الذكري، وحصلوا على درجات أعلى على إختبارات تفضيل الدور الأنثوي، وكذلك وجد هناك لدى كل من الذكور والإناث مقاطعات(إعاقات) في كل من علاقات اللعب والعلاقات الإجتماعية، وأظهر الأطفال قصوراً وجموداً في لعبهم التخييلي، وبعد مضي عام من طلاق الوالدين فقد أظهر البنات والأولاد معاً معدلات كبيرة من الإعتمادية، البحث عن المساعدة ، وسلوك عدم الشكوى.

حيث أن نتائج تلك الدراسات تتفق مع ما توصلت إليه هارلوك(1983)بأن حرمان الطفل من أحد والدية نتيجة الوفاة يجعله يمر بفترة حداد، يستعيد بعدها توافقه وإتزانه النفسي شأنه شأن الراشدين في ذلك، أما خبرة إنفصال الطفل عن أحد والديه نتيجة الطلاق تكون أشد وطأة على الطفل نظراً

لأن خلافات الطلاق تكون غير خافية عليه، هذا بالإضافة إلى ما ينال الطفل من جراء تشويه الصور الوالدية نتيجة أن كل طرف من الوالدين يحاول تشويه صورة الوالد الآخر جذباً لود الطفل، هذا بالإضافة إلى أن خطورة الحرمان بالطلاق ترجع كما توضح هارلوك إلى أن فترة التكيف للإنفصال والحرمان من الوالدين بالطلاق أطول وأكثر صعوبة من التكيف للحرمان بالموت، هذا إلى جانب ما يتعرض له الطفل من خجل وإحراج إذا ما سئل عن والده المقصود، أو عن الوالد الجديد الموجود (في حالة زواج الأم أو الأب مرة أخرى) كما يشعرون بالذنب إذا ما استمتعوا بالوقت الذي يقضونه مع الوالد الآخر أو إذا فضلوا المعيشة مع الوالد المنفصل بدلاً من الذي يتولى رعايتهم.(Hurlock,1983:508).

إن أطفال المؤسسات غالباً ما يحرمون من بناء علاقات إجتماعية وصداقات مع المحيط نتيجة الوصمة (الإستيكما) التي ينعتهم بها أفراد المجتمع، فكثيراً ما يمنع جيران تلك المؤسسات أطفالهم من اللعب مع هؤلاء الأطفال أو الإحتكاك بهم، وكذلك الأمر في النوادي والمدارس التي غالباً ما تُذَكرَهم بأنهم أولاد شوارع أو مؤسسات، الأمر الذي يزيد من حقد هؤلاء الأطفال على الآخرين، وينعكس ذلك في زيادة مشاكلهم السلوكية كالعدوانية والسرقة والتخريب والكذب والغش والإنتقام لإثبات ذواتهم في المجتمع. هذا ما يتضح من الدراسة التي أجراها عبد المنعم حسيب (1985) حول المشكلات السلوكية الشائعة لدى الأطفال المحرومين من الوالدين، ومقارنتها بالأطفال المقيمين مع والديهم، وتحديدها من وجهة نظر الأطفال ومن وجهة نظر الأمهات والمدرسين، وذلك على عينة من الأطفال (96 طفلاً وطفلة) في المدرسة الإبتدائية، في سن 6 – 12 سنة، مقسمين إلى مجموعتين؛ أطفال قرية الأطفال S.O.S (48 طفلاً، 24 ذكور و24 إناث)، والأطفال المقيمين مع والديهم (24 ذكور و24 إناث)، وكذلك عينة من الأمهات في القرية والوالدين خارج القرية، وعينة من المدرسين في مدرسة إسماعيل فهمي. وقد أوضحت نتائج

الدراسة أن المشكلة الأولى من وجهة نظر أطفال القرية تمثلت في عدوانية أطفال المؤسسة كمحاولة لإثبات ذواتهم ووجودهم في المجتمع، بينما تمثلت المشكلة الأولى من وجهة نظر أمهاتهم البديلات في أنانية هؤلاء الأطفال تعبيراً عن إفتقادهم للحب ومن ثم عدم قدرتهم على إعطاء الحب للآخرين، أما من وجهة نظر المعلمين فتمثلت المشكلة الأولى في شعور هؤلاء الأطفال بالقلق والتوتر لعدم الإستقرار، وما يتركه هذا الشعور من أثر على تأخرهم الدراسي، وأما من وجهة نظر أطفال الأسر وأمهاتهم ومدرسيهم، فقد تمثلت المشكلة الأولي في المسالمة والإنسحاب والسلبية. وقد أوضح البحث أن من أبرز مشكلات أطفال القرية: العدوانية، والسرقة، والقلق، والخوف من الوحدة، وكثرة الكذب والغش (حسيب، 1985).

إن شعور هؤلاء الأطفال بالدونية وعدم قبولهم من الآخرين في المجتمع يزيد من عدوانيتهم، فقد قامت سلوى مسيحة (1991) بدراسة للتعرف على هذه الحاجات في علاقتها بالعدوانية، وأجريت الدراسة على مجموعتين من الأطفال، الأولى35 طفلاً ذكوراً وإناثاً من أطفال المؤسسات الإيوائية في الصف الخامس والسادس الابتدائي، والثانية 35 طفلاً ذكوراً وإناثاً من أطفال الأسر العادية وفي نفس الصفوف الدراسية، وتوصلت الدراسة إلى وجود معامل إرتباط سالبي بين الحاجات النفسية والسلوك العدواني لدى أطفال المؤسسات، وكذلك وجود فروق دالة بين أطفال المؤسسات الإيوائية وأطفال الأسر الطبيعية في السلوك العدواني الواقعي البدني المباشر وغير المباشر، والموجه نحو الزملاء والأشخاص الآخرين والذات، لصالح أطفال المؤسسات، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالسلوك العدواني اللفظي المباشر وغير المباشر. كما وأظهرت هذه الدراسة نوعاً من التصور السلبي للبيئة المحيطة المهددة للأمن والشعور بالسعادة والأمان، وأتضح كذلك أن عدوانية هؤلاء الأطفال هي رد فعل على البيئة المعتدية غير المشبعة لكثير من حاجات

الأطفال. وكان أبرز ما يميز هؤلاء الأطفال هو سيطرة مشاعر الحزن والقلق والمشاعر الإكتئابية والعدوانية.

هذه النظرة السلبية تجاه أطفال المؤسسات تجعلهم أكثر تمركزاً حول ذواتهم وتحد من علاقاتهم بالمجتمع وإمكانية بناء صداقات، وفي بعض الأحيان تزيد من قلقهم وتولد لديهم إحساساً بأنهم وضعوا في تلك المؤسسات لأنهم غير مرغوب فيهم من قبل والديهم، الأمر الذي يجعلهم عرضة للقلق ويشعرهم بأنهم غير جديرين بحب الآخرين وتقديرهم، مما ينعكس على صورتهم عن ذاتهم، وهذا ما تؤكده نتائج العديد من الدراسات. ففي دراسة أجراها سينج وزملائه (Singh, et al، 1980) بهدف التعرف على حالة بعض أطفال الملاجئ من خلال إستخدام إختبار الـ CAT، وذلك على عينة مكونة من 24 طفلاً من الأطفال المودعين في أحد الملاجئ وتراوحت أعمارهم بين 6- 10 أعوام، وُجد أن شخصيات هؤلاء الأطفال تتميز بالعدوانية، وخاصة العدوان البدني، وأن لديهم إحساس مرتفع بالقلق، كما ظهرت حاجة هؤلاء الأطفال إلى الآخرين، وإنخفاض في مستوى الذكاء والتخيل والقدرة على المستوى الفكري والعقلي.

وفي دراسة قام بها إليزر (Eliezer، 1989) عن الجوانب الشخصية لدى كل من الأطفال والمراهقين المودعين في المؤسسات الإيوائية، وأجراها على عينة من ثلاث مجموعات مكونة من 720 طفلاً تتراوح أعمارهم بين 10- 15 عاماً، المجموعة الأولى تشمل الأطفال المودعين في المؤسسات، والثانية الأطفال المنتظرين للإيداع، والثالثة الأطفال الذي يعيشون مع أسرهم الطبيعية. وفي هذه الدراسة حصل أطفال المجموعة الأولى والثانية على درجة متشابهة تدل على إنخفاض في مستوى الإحساس بالأسرة وإنخفاض في مفهوم الذات والعلاقات الإجتماعية، في حين أظهر أطفال المؤسسات فقراً في مستوى العلاقات الإجتماعية بالآخرين وشعوراً مرتفعاً بالقلق، إلى جانب شعورهم بأنهم أشخاص غير مرغوب فيهم.

كما وأظهرت دراسات مختلفة أن درجة القلق من عدم تواصل الأسرة مع طفلها تكون أعلى لدى الإناث منها لدى الذكور. هذا ما توصل إليه (سويف، 1986) في دراسته عن أثر الحرمان من الأسرة وما يترتب على ذلك من إزدياد في مظاهر القلق لدى أطفال المؤسسات، وهي دراسة أجريت على عينة من الأطفال مقسمة إلى مجموعتين، كل مجموعة تتكون من خمسين طفلاً (25 من الذكور و25 من الإناث) تتراوح أعمارهم بين 13– 15 سنة. إحدى هاتين المجموعتين شملت أطفالاً يعيشون مع أسرهم، والأخرى شملت أطفالاً تم عزلهم عن أسرهم لوقايتهم من بعض الأمراض ويقيمون في "مدينة تحسين الصحة". وتبين من هذه الدراسة أن معدل القلق لدى الإناث أعلى منه لدى الذكور في المجموعة المحرومة من الوالدين، وهذا يشير إلى أن العلاقة بالأسرة تبدو ذات أهمية خاصة للفتاة وسمعتها في مجتمعنا، والأرجح أن ذلك يعود إلى نظرة المجتمع الدونية للفتاه وسمعتها وشرفها، حيث تشعر الفتاة بالخجل والعار من ذكر أنها تعيش في مؤسسة داخلية، وتقلق على مصيرها في المستقبل، فمن سيأتي ليتقدم للزواج منها وهي إبنة الداخلي! فعلى الرغم من أن أطفال المؤسسات يلقون من الرعاية والعناية ما قد يفوق بكثير ما يلقاه أطفال يعيشون في أسرهم الطبيعية، إلا أنهم قد يتعرضون لكثير من الضغوط النفسية النابعة من نظرة المجتمع والأطفال الآخرين إليهم، وخاصة داخل المدرسة، فعندما يرتكب بعضهم بعض المخالفات السلوكية (التي يمكن أن تصدر عن أي طفل في المدرسة) يقال عنهم أنهم "أطفال المؤسسة" وكأنهم ليسوا أطفالاً عاديين. وعلى الرغم من أن النظام الداخلي للمؤسسة يشبه إلى حد بعيد نظام الأسرة الطبيعية، فإن المؤسسة تضع حدوداً لا ينبغي على الطفل تخطيها سواء داخل المؤسسة أو خارجها. كل ذلك ينعكس على الطفل بشكل سلبي من حيث توافقه مع نفسه ومع الآخرين.

إن الحرمان من الوالدين في ذاته ليس عاملاً جوهرياً فيما يعانيه الطفل من آثار سلبية، بل يتوقف الأمر على نوعية الرعاية اللاحقة للحرمان ونظامها، وهو عامل من العوامل الهامة المؤثرة في الحرمان وإستجابة الطفل له. فهناك الكثير من الأطفال لا بد وأن يحرموا من الوالدين بسبب وفاة الوالدين أو إيداعهم المستشفيات أو السجون الخ...، فهل هو مُحَتم على هؤلاء الأطفال أن يعانوا من الإضطراب والضعف والتدهور؟ بالطبع سيتوقف ذلك على كثير من العوامل الأخرى، ومن أهمها ما يلقاه الطفل من عناية ورعاية بعد ذلك، فليس هناك دليل علمي مؤكد على أن علاقة الطفل بوالديه علاقة فطرية محتومة، بل يمكن أن تكون علاقة مكتسبة تنشأ بعيداً عن الوالدين الحقيقيين وفي ظل والدية بديلة تكون بمثابة الوالدية النفسية الكافية للتعويض عن الوالدية البيولوجية، وكما أوضحنا من قبل فإن الوالدين الحقيقيين قد يشكلا عامل إضطهاد وحرمان للطفل نظراً لنبذهم له وإهماله، أو نظراً لظروف أخرى قد تمنعهما من القيام بمهام الوالدية بشكل سوي مشبع للطفل. ومن ناحية أخرى فإننا نجد أن الإيداع في المؤسسات قد يكون مسئولاً بالدرجة الأولى عن تدهور الطفل أكثر من إنعدام الوالدين في حد ذاته. فمن هنا تنبع أهمية تواصل الأهل مع الأطفال، وبرامج الإرشاد الأسري للأهل، والمجموعات العلاجية التي تساعد كثيراً في تحسن سلوك الأطفال. ونجد في هذا الصدد بعض الدراسات العربية المفيدة، كدراسة عبد الصبور سعدان (1980) التي أجريت عن أثر ممارسة إتجاه العلاج الأسري في التوافق الشخصي والإجتماعي للأطفال المودعين في الأسر البديلة، وكانت الدراسة على عينة من الأسر التي يعاني الأطفال البدلاء فيها من عدم التوافق الشخصي والإجتماعي، وأوضحت نتائجها أن هناك تحسناً ملحوظاً في درجة التوافق الشخصي والإجتماعي بصورة عامة نتيجة للتدخل المهني بإستخدام العلاج الأسري. وهناك كذلك دراسة عزة الألفي (1986)عن إستخدام العلاج الجماعي لتعديل بعض الحاجات والضغوط لدى الأطفال المحرومين، وكانت

الباحثة تفترض أن العلاج الجماعي يؤدي إلى تعديل بعض الحاجات والضغوط من خلال المساندة العاطفية، والتعبير على الصراعات المثيرة للقلق، وتعديل مفهوم الفرد عن نفسه وتقديره لذاته، ورؤية متبصرة للمشكلات الحاضرة في ضوء خبرات الماضي. وأجري البحث على عينة قوامها أربعون طفلاً تتراوح أعمارهم بين 10– 13 عاماً، ممن حرموا من الوالدين (ضالين– لقطاء) تضمهم مؤسسة خاصة، وعينة أخرى ضابطة من خارج المؤسسة ممن يعيشون حياة أسرية عادية. وأوضحت نتائج البحث أنه قد تم تعديل الشعور بالتعاسة وضغط النبذ بعد العلاج الجماعي، كما وأدى العلاج باللعب إلى الإحساس بمشاركة الجماعة في نشاط له هدف، يحتمل الفوز والهزيمة والتعود على تقبل كلاهما، وبالتالي لا يصبح الفرد معزولاً ومنبوذاً. أما العلاج السيكودرامى فإن الدور الذي إختاره كل طفل أو الذي إختارته له الباحثة ساعد الطفل على التخلص من كثير من ضغوط النبذ والإحساس بالتعاسة.

تعليق على الدراسات السابقة:

تتفق نتائج البحوث السابقة على أن هناك أهمية للإتصال والتواصل بين الطفل ووالديه، وأهمية دورهم في تعديل سلوكه والتقليل أو التخفيف من حدة مشاعره السلبية وغضبه، حيث يشعر الطفل بالدعم والأمان والطمأنينة وأنه ليس متروكاً أو مقطوعاً من شجرة، الأمر الذي ينعكس بالإيجاب في تقدم سلوكه والتخفيف من توتره وغضبه في حين أن حرمان الطفل من والديه وعدم إتصالهم وتواصلهم معه فإن ذلك يزيد من مسلكياته السلبية كالعدوانية، الغضب، التخريب والإنتقام وغيرها، وأيضاً من مشاعره السلبية كالأسى، الحزن، الحقد، القلق والخوف من المستقبل المجهول مثل: دراسة ميشيل(1979) التي أظهرت أن هناك سلوكاً عدوانياً وتوتراً عالياً لدى الأطفال الذين حرموا أو يفتقرون للإتصال مع والديهم. ودراسة Suman(1986) التي أظهرت زيادة حدة المشاكل السلوكية لدى هؤلاء الأطفال المحرومين من تلك الإتصال. ودراسة البياتي(2006) التي أظهرت بأن فاقدوا الإتصال بالوالدين شديدوا الإنزعاج ويتهربون من مواجهة المواقف الصعبة ومخاوف من المجهول ولديهم نظرة سلبية للمستقبل. ودراسة Devall et (2008) التي أظهرت قلة تحمل المسؤولية والامبالاة لدى هؤلاء الأطفال المحرومين من الوالدين، وقلة العلاقات الإجتماعية مع الآخرين.

كما تتفق نتائج تلك البحوث من حيث أن أطفال المؤسسات الداخلية تزيد لديهم المشاكل السلوكية وحدتها بالذات العدوانية تعبيراً عن غضبهم وتوترهم وكذلك السرقة والتخريب والامبالاة بدافع الإنتقام وإظهار الذات ولو بصورة سلبية، ومن هذه الدراسات دراسة حسيب(1985) التي أظهرت أن أهم المشكلات السلوكية لدى الأطفال الذين حرموا أو الذين لا يوجد إتصال بينهم وبين والديهم: العدوانية كمحاولة لإثبات ذواتهم ووجودهم في المجتمع، والمشكلة الثانية أنانيتهم

تعبيراً عن إفتقارهم للحب ومن ثم عدم قدرتهم على إعطاء الحب للآخرين ثم شعورهم بالقلق والتوتر وعدم الإستقرار. وكذلك دراسة مسيحة(1991) التي أظهرت أن العدوانية تأتي بالدرجة الأولى من المشاكل السلوكية لدى أطفال المؤسسات، وأوضحت أن عدوانية هؤلاء الأطفال هي رد فعل على البيئة المعتدية غير المشبعة لكثير من حاجات الأطفال، وكان أبرز ما يميز هؤلاء الأطفال هو سيطرة مشاعر الحزن، القلق، المشاعر الإكتئابية والعدوانية. وكذلك دراسة Lemmens et(2004) التي أظهرت بأن أكثر المشاكل السلوكية شيوعاً لدى الأطفال المحرومين: السلوك العدواني بالدرجة الأولى، السرقة والكذب، مظاهر الكآبة، ضعف الشخصية والقلق. وكذلك دراسة شاهين(2005) التي أظهرت أن من أهم المشكلات السلوكية لدى أطفال المؤسسات المحرومين من الوالدين: العدوانية، التوتر، عدم الإستقرار والأنانية.

أيضاً تتفق نتائج هذه البحوث من حيث الأثر الإيجابي على سلوك الطفل وتقدمه نتيجة للدور والمسؤولية التي يأخذها الوالدان بالشراكة مع الداخلي في التواصل بالطرق المختلفة مع طفلهم بالداخلي سواء بالمناسبات الإجتماعية أو الزيارات المتبادلة أو الإشتراك بالمجموعات والبرامج الأسرية الإرشادية، ومن هذه الدراسات دراسة سعدان(1980) والألفي(1986).

نخلُص من هذا الإستعراض للدراسات السابقة إلى أن تلك الدراسات تركزت على جوانب تخص الحرمان لدى الأطفال من والديهم، ولم تتطرق إلى موضوع الدراسة الحالي. كما وأغفلت هذه الدراسات الواقع المعاش في مجتمعنا العربي بالذات، والذي تغلب عليه الصبغة الذكورية والظروف التي تحيط بالوالدين، وبالذات الأم، والتي تقف عائقاً أمام تواصلها مع أطفالها الموجودين في المؤسسات، والتي أرغمتها الظروف على وضعهم هناك. فهناك الكثير من الأمهات اللواتي هن، كما يقال، " مغلوبات على أمرهن"، ليس إلا لأنهن نساء ينظر لهن المجتمع في كثير من الأحيان بالدونية وعدم القدرة على حماية أنفسهن أو تدبر أمرهن إلا بوجود

الرجل معهن، فهناك الكثير من الرجال أو الآباء الذين لا يسمحون بخروج الأم لوحدها لزيارة الطفل في المؤسسة حين يكون الأب مشغولاً أو متشاغلاً والأم ليست من أسرة ممتدة ليرافقها أحد غيره من الرجال، وما بمقدورها سوى طاعته وتنفيذ أوامره، خصوصاً وأن الأمور المادية بيده وفي حالة عصيانها له قد تجد نفسها هي الأخرى إما مطرودة أو مطلقة تريد بيتاً يرعاها. أما الأم المطلقة والتي تعيش في بيت أهلها فحظها ليس بأفضل من ذلك، فمع أنها تحررت من زوجها إلا أنها تجد أباها أو أخاها أو عمها يقف لها بالمرصاد ولا يسمح لها بالخروج لوحدها إلى المؤسسة "خوفا من كلام الناس"، وبعضهم يرفض ذلك لأنه يعتبر أن مسوؤلية الأطفال هي من واجب الأب بعد أن طلق إبنتهم، الأمر الذي ينعكس بالسلب على الأطفال.

كما أن هذه الدراسات تناولت جميعها أثر الحرمان من الوالدين على الأطفال من بعض الجوانب ولكنها أغفلت جوانب أخرى لها التأثير الكبير على سلوك الأطفال، والتي لا بد من تسليط الضوء عليها في هذه الدراسة، كالجانب الإقتصادي والديني والتعليمي ونوعية الأسرة التي حضر منها الأطفال. فكثيراً ما يقف الفقر حاجزاً بين تواصل الأهل مع طاقم المؤسسة ومشاركتهم في تقديم العلاج لأطفالهم، سواء ما يتعلق بإمكانيات السفر إلى المركز أو تقديم الهدايا لأطفالهم أو حضور مناسبات أو المشاركة في جلسات علاج جماعي أو الخروج مع الطفل في نزهة أو خصه بأكلة معينة عند زيارته للبيت. وكذلك الجانب الديني الذي له دور كبير في التأثير على سلوكيات الأطفال، سلباً كان أم إيجاباً، فهناك العائلات المتدينة التي كثيراً ما تحث على زيارة الأبناء والتعاون مع الطاقم من باب إهتمام الدين بصلة الرحم، إلا أنها أحيانا ولكثرة تدخلها وحث طفلها على التدين في كل زيارة، متناسية الجوانب الأخرى التي يعمل عليها المركز مع طفلها، قد تؤثر سلبياً عليه، وسأتطرق لهذا بشكل مفصل في المحور الخاص بالدين. كذلك مستوى التعليم، حيث أن كثيراً من الأسر ذات المستوى التعليمي العالي ترفض زيارة المؤسسات وتكتفي بزيارة

أطفالها لها في المنزل، خوفاً من إختلاطها أثناء المحاضرات أو المجموعات أو المناسبات بـ"الطبقات الدنيا" الأقل تعليماً وثقافة، وعلى العكس من ذلك يكون للبعض الآخر دور كبير في سير المحاضرات والإجتماعات من خلال الحضور والمساهمة، وسوف أسلط الضوء بالتفصيل على ذلك في المحور الخاص له من الدراسة. كما أن الدراسات السابقة لم تتطرق إلى نوعية الأسرة التي جاء منها الطفل، والتي كثيراً ما يكون لها دور كبير في تعديل سلوك الأطفال، فمثلا العائلة الممتدة تشكل حجر الزاوية أو مصدر الدعم للأب أو الأم من خلال الإنابة عنهما في زيارة أطفالهما أو التعاون مع المؤسسات، أو حتى من خلال دعم الوالدين والأطفال مادياً، في حين أنه يكون أحياناً لكثرة تدخل أفراد العائلة الممتدة بالوالدين أو أطفالهما الأثر السلبي على مجرى سلوك الأطفال.

من هنا تنبع أهمية هذه الدراسة، للتركيز على كل هذه الجوانب التي أغفلتها الدراسات السابقة، كما أنها ستضيف بعداً جديداً من المعرفة ونوعاً مختلفاً من المعلومات من أجل إبراز مدى تأثير الخلفيات الإجتماعية لكل من أسرة الطفل وطواقم العاملين في المؤسسات الداخلية على المجهود الذي يبذل لمعالجة السلوكيات السلبية لدى أطفال المؤسسات، مع التركيز على المستوى التعليمي والإقتصادي ودرجة التدين ونوع الأسرة وربط كل ذلك بطبيعة وواقع مجتمعنا العربي المعاش.

الفصل الثالث

منهجية الدراسة

مجتمع الدراسة

عينة الدراسة

وصف خصائص العينة

موضوعية الدراسة

منهجية الدراسة :

كما هو واضح من أسئلة الدراسة، فإن الكثير مما تدور هذه الدراسة حوله لا يمكن رصده والتعرف عليه إلا من خلال الملاحظة المباشرة لأفعال وأقوال وتصرفات الفئات الثلاث التي تشكل مجتمع البحث في هذه الحالة، كل فئة على حدة، وكل فئة في تفاعلها مع الفئتين الأخريين؛ الأطفال المقيمون في المؤسسات الأهلية، وطواقم المرشدين والمعالجين في هذه المؤسسات، وأهالي الأطفال (والوالدين بشكل خاص)، أي الملاحظة المباشرة لتأثير سلوك العاملين في المؤسسة على سلوك أهالي الأطفال الذين يحاولون تحسين سلوك أطفالهم، وكيف يؤثر سلوك الأهالي على سلوك العاملين في المؤسسة الذين يحاولون هم أيضاً التأثير إيجابياً على سلوك الأطفال، وكيف يؤثر هذا التفاعل بين الأهالي والعاملين على سلوك الأطفال المعنيين ويتأثر به. كل هذه العلاقات والتأثيرات تتم في سياق التفاعل المستمر عبر الزمن، وضمن إطار المؤسسة المعنية التي تحدد بنيتها وفلسفتها وطبيعة النشاطات التي تقوم بها إمكانيات تفعيل أدوار الفئات الثلاث في تفاعلها مع بعض. فالعلاقة بين الوالدين والمؤسسات هي إذاً علاقة مركبة ومتغيرة وجارية عبر الزمن، وتختلف من مؤسسة إلى أخرى، وفي نفس المؤسسة تختلف من أسرة إلى أخرى ومن مرشد أو معالج إلى آخر. ولتغطية ذلك تم الإستعانة بالمنهج الكيفي من خلال الملاحظة بالمشاركة، التي تم عملها في المؤسسة التي أعمل فيها(مركز أجيال للبنين)، حيث أن عملي في مؤسسة من هذا النوع يتيح لي الإنخراط في فعاليات المؤسسة والتفاعلات التي تجري في داخلها بين أسر الأطفال والمرشدين والمعالجين، وكذلك يتسنى لي مراقبة تصرفات الأطفال عن قرب وملاحظة التغيرات التي تحدث على سلوكهم. وسيتم اللجوء إلى عدد من المقابلات المعمقة، المفتوحة والمرنة مع أفراد أسر الأطفال

وطواقم العاملين، من أجل إلقاء الضوء على التفاعل الفعلي بين العوامل البيئية وأنماط السلوك على المستوى الإدراكي والشعوري.

مجتمع الدراسة:

يتكون مجتمع البحث من العاملين في المؤسسات الداخلية في شرقي القدس، ومن أسر الأطفال المقيمين في هذه المؤسسات، ومن الأطفال أنفسهم. وهذا يشمل جميع المؤسسات الفاعلة حالياً في شرقي القدس وعددها أربع مؤسسات: مركز أجيال للبنين (شعفاط)، وهوستل رواد الغد (الشيخ جراح)، وبيت الحنان (جبل المكبر)، ودير سان فنسنت (باب الخليل).

عينة الدراسة:

إشتملت عينة الدراسةعلى مقابلة 45 من الأهل ذكوراً وإناثاً و46 من العاملين ذكوراً وإناثاً، موزعين على المؤسسات الأربعة التي تم ذكرها سابقاً، مع مراعاة عامل الجنس والعمر لفئة المبحوثين من الأهل ومراعاة عامل الجنس وطبيعة الوظيفة وعدد سنوات الخبرة لفئة المبحوثين من العاملين. ثم تم تصنيف المادة التي جمعت من خلال المقابلات ومقارنتها مع ما تم جمعه من خلال الملاحظة بالمشاركة وتحليلها وإخراج النتائج.

وصف خصائص العينة:

إشتملت عينة الدراسة للعاملين على 46 مبحوث منهم 22 ذكور و24 إناث، 26 متزوجين و20 عازبين، 37 مسلمون و9 مسيحيون، أما فئتهم العمرية فتراوحت بين 28 عاماً وحتى49 عاماً.

في حين إشتملت عينة الدراسة للوالدين على 45 مبحوث منهم 22 ذكور و23 إناث، 24 متزوجين و4 أرامل و5 منفصلين و 12 مطلقين، 37 مسلمون و8 مسيحيون أما فئتهم العمرية فتراوحت بين 27 عاماً وحتى 64 عاماً.

موضوعية الدراسة:

لكوني مدير لإحدى المؤسسات المبحوثة(مركز أجيال للبنين) وللخروج من دائرة التحيز في جمع المعلومات وتحليلها فقد قمت بعدة خطوات: أجريت المقابلات مع طواقم العاملين في مؤسستي خارج إطار المؤسسة مع التأكيد لهم على أنني أقوم بدور الباحث وليس بدور المدير وأن تلك الإجابات والمعلومات هدفها المساعدة في إنجاز تلك الرسالة من أجل الإستفادة منها ومن نتائجها علمياً وفي تطوير برامج تلك المؤسسات المقدمة للأهل والأطفال وليس من أجل المحاسبة، حتى يكون لديهم شعوراً بالراحة وأكثر طمأنينة في قول وإخراج المعلومات على حقيقتها، وبالنسبة للأهل فقد تمت المقابلات في غرف النشاطات التي إعتادوا عليها مع التأكيد لهم بأنني أقوم بدراسة هدفها بالدرجة الأولى يعود على مصلحة أطفالهم، لذا من الضروري قول وإخراج المعلومات على حقيقتها والنظر إلي كباحث وليس كمدير مؤسسة.

أما بما يتعلق بالمؤسسات الأخرى فقد تم إجراء المقابلات مع مدرائها في داخل مؤسساتهم مع التأكيد لهم على أنني الآن أقوم بدور الباحث وليس المدير وأن هدفي سماع المعلومات على حقيقتها وليس كما نحب أن نراها أو نسمعها كمدراء مؤسسات للإستفادة من نتائجها في تطوير برامج تلك المؤسسات بما يخدم مصلحة هؤلاءالأطفال. وبالنسبة لطواقم العاملين والأهل فقد أجريت المقابلات بداخلها مع التعريف على نفسي كباحث يقوم بإعداد رسالة ماجستير وهدفه جمع المعلومات كأي باحث آخر.

أيضاً كان هناك تذكير دائم لي من قبل مشرفي د.مصلح كناعنه في كل مرة كان يتم فيها عرض المعلومات عليه بضرورة تذكر قضية الموضوعية وعدم التحيز، كما وأنني كنت أعرض تلك البيانات والمعلومات التي جمعتها على بعض زملائي والمختصين في هذا المجال لسماع آرائهم من أجل مراعاة الموضوعية فيها.

الفصل الرابع

وصف المؤسسات الداخلية في شرقي القدس

وصف المؤسسات الداخلية في شرقي القدس

تعريف المؤسسات:

هي عبارة عن أطر داخلية إيوائية علاجية، لأطفال في ضائقة إجتماعية، ذوي ظروف إجتماعية ونفسية وسلوكية وإقتصادية صعبة للغاية، من جيل 6- 18 سنة، حيث تقدم لهم الرعاية والعناية الكاملة وما يلزمهم من خدمات مختلفة، سواء صحية أو نفسية أو إجتماعية أو سلوكية أو تربوية أو إقتصادية، من أجل حمايتهم من الضياع والإنحراف.

الأهداف التي أنشئت من أجلها المؤسسات:

1. حماية الأطفال الموجودين في خطر وضائقة إجتماعية.
2. تقديم الخدمات الإرشادية النفسية والإجتماعية لهؤلاء الأطفال.
3. علاج مشكلات هؤلاء الأطفال السلوكية.
4. وقاية الأطفال والمجتمع من الإنحراف.
5. تثقيف ورعاية الأطفال وإستثمار طاقاتهم الكامنة في تحويلهم من عناصر معرضة للإنحراف والضياع إلى عناصر منتجة وإيجابية داخل المجتمع.

شروط قبول الأطفال للمؤسسات:

1. أن يكون الطفل من حملة الهوية الزرقاء.
2. أن يكون في ضائقة إجتماعية.
3. أن يكون ذا ظروف إجتماعية وإقتصادية سلوكية صعبة للغاية.
4. أن يكون جيله ما بين 6- 14 سنة.

كيفية تحويل الأطفال وقبولهم:

يتم تحويل الأطفال من قبل مكاتب الشؤون الإجتماعية للمؤسسات الداخلية، وذلك بعد أن يكون قد تم دراسة وضعهم الإجتماعي والإقتصادي من قبل الأخصائيين الإجتماعين، ثم تحدد لجنة قبول يشترك فيها مدير المؤسسة، والعامل الإجتماعي للمؤسسة، وأم البيت، والعامل الإجتماعي من الشؤون، وأحد الوالدين أو المسوؤل عن الطفل بدلاً من الوالدين، فإذا توفرت شروط القبول المذكورة أعلاه يتم قبوله.

نوعية المؤسسات :

جميع المؤسسات التي شملها البحث في شرقي القدس هي مؤسسات حكومية تتبع لوزارة الرفاه والعمل الإجتماعي الإسرائيليه، وهذه المؤسسات تتشابه مع بعضها في آلية العمل وظروف الأطفال وشروط القبول والخدمات المقدمة والبناء والتركيب الإداري، في حين تختلف في حجمها وعدد الأطفال وطواقم العاملين فيها، وكذلك في الأعمار للأطفال المقيمين فيها.

الهيكل الهرمي لتلك المؤسسات :

وصف لمهام العاملين :

المدير: وهو المسؤول عن العاملين والأطفال وكل ما يتعلق بإدارة المؤسسة والإشراف والتوجيه للعاملين فيها.

أم البيت: وتعتبر أماً لجميع الأطفال، حيث تقوم بالمهام التالية:

1. تفقد وضع جميع الأطفال الموجودين بشكل يومي، سواء الصحي أو التعليمي وغيره.
2. الإشراف على كل ما يتعلق بالمطبخ والطعام المقدم للأطفال، مع مشاركة الطباخة في وضع لائحة الطعام الأسبوعية.
3. أخذ الأطفال إلى المراكز الطبية في حالة مرضهم.

4. زيارة المدارس التي يتواجد فيها الأطفال والإستفسار عن وضعهم التعليمي، وكذلك حل مشكلاتهم في حالة ما وجدت.
5. شراء الخضار والفواكه واللحوم، وملابس الأطفال.
6. الإشراف على غسل ملابس الأطفال اليومية وترتيب أسرّتهم من قبل عاملات النظافة.

العمال الإجتماعيين: يتمثل دورهم في عدة أمور:

1. عمل جلسات فردية علاجية للأطفال لمتابعة وضعهم الإجتماعي والسلوكي والشعوري.
2. عمل جلسات جماعية للأطفال الذين تتشابه مشاكلهم السلوكية.
3. حلقة الوصل بين المؤسسة من جهة والشؤون من جهة أخرى.
4. العمل مع الأهل من خلال اللقاءات والمجموعات الإرشادية العلاجية.
5. كتابة التقارير الإجتماعية والمشاركة في لجان القبول ولجان التقييم السنوية للأطفال.
6. بناء خطط علاجية للأولاد.

مُركز المرشدين: وهو المسؤول عن رؤساء البيوت والمرشدين من حيث بناء برنامجهم اليومي ومتابعة ساعات عملهم، وكذلك الإشراف والتوجيه والمراقبة على برامجهم وخططهم المقدمة مع الأطفال، والتدخل في حل مشكلات الأطفال الصعبة، وهو يعتبر حلقة الوصل بين الإدارة والمرشدين.

المرشدون: وهم الذين يعيشون مع الأولاد ويقومون على تربيتهم، حيث يكونوا قد أنهوا أربع سنوات في إحدى المجالات التالية: الخدمة الإجتماعية، علم الإجتماع، علم النفس، والتربية.

ويكون في كل بيت مرشد ومرشدة، حيث يقومون برعاية الأطفال وتعليمهم مهارات الحياة اليومية بالإضافة إلى متابعتهم في شؤون الدراسة والحياة اليومية والإجتماعية، كما يقومون بعمل جلسات جماعية وفردية حسب الحاجة، ويتناولون فيها الصعوبات والمشاكل والإنجازات داخل البيت ومناقشة قوانينه، ويقومون بإعداد خطط فصلية تشمل البرنامج اليومي والأسبوعي والشهري والفعاليات والنشاطات المقترحة ومتابعتها.

الأخصائي النفسي: وهو يقوم بالعمل مع الأطفال من الجوانب النفسية والسلوكية الصعبة بعد أن يتم تحويلهم من العمال الإجتماعين، كذلك عمل الفحوصات النفسية التي تساعد الطاقم العامل في خطتهم العلاجية مع الأطفال.

معلم الصعوبات التعليمية: وهو الذي يقوم بتشخيص وضع الأطفال من ناحية تعليمية بعد أن يتم تحويلهم من قبل المرشدين إليه، ثم يقوم بالعمل والتركيز على صعوباتهم التعليمية.

النشاطات والفعاليات التي يقوم بها الأطفال في المؤسسات:

1. جولات ورحلات خارجية.
2. ألعاب رياضية وألعاب ساحة (مثل كرة القدم، كرة تنس، كرة سلة وغيرها).
3. المشاركة بفعاليات خارجية بهدف دمج الأطفال مع المجتمع الخارجي، وذلك حسب هواية الطفل (مثلاً ملاكمة، سباحة، كراتيه، موسيقى، دبكة وغيرها).
4. فعاليات فنية، يدوية وموسيقية، وكمبيوتر.

مكونات البيت:

- يتكون البيت من 3- 4 غرف نوم، وصالون، ومطبخ، وحمامين.
- في كل بيت 9- 10 أطفال.
- لكل بيت 4- 5 مرشدين موزعين بنظام المناوبة (الشفتات) في كل شفت يعمل 2 مرشدين.

وصف للحياة اليومية للأطفال:

يخرج الأطفال صباحاً إلى مدارسهم، ويبدءون بالعودة ما بين الساعة الواحدة والثانية ظهراً، فيضعون حقائبهم ويبدلون ملابسهم ويرتاحون قليلاً، ثم في الساعة الثانية والنصف يقومون بالنزول إلى قاعة الطعام لتناول وجبة الغذاء مع باقي أفراد المؤسسة وبإشراف المرشدين وأم البيت والطباخ، وبعد ذلك يقوم الأطفال بالتوجه إلى البيت، كل في شقته، وأخذ قسط من الراحة، وفي الساعة الرابعة وحتى السادسة يقوم الأطفال بعمل الواجبات المدرسية، ومن ثم يكون لكل بيت برنامجه الخاص حيث يشارك جزء منهم بفعاليات داخلية مثل الكمبيوتر، أو غرفة النشاطات التي تحوي ألعاب مختلفة، أو ألعاب ساحة متنوعة، وجزء يقوم بفعاليات خارجية مثل الكراتيه، والموسيقى، والفن، والسباحة، ويستمرون في ذلك حتى السابعة والنصف، ثم يقومون بالإستحمام، وعند الثامنة يقومون بتحضير وجبة العشاء في داخل الشقة لتناوله في جو أشبه بالجو العائلي، ثم يشاهدون التلفاز، وبعدها يجهزون أنفسهم للنوم في التاسعة مساءً.

نظام العمل مع أهالي الأطفال:

إيماناً من تلك المؤسسات والعاملين فيها بأهمية الوالدين في حياة أطفالهم الإنفعالية والنفسية، وتأثير ذلك في سلوكهم، فإنها تحرص على أن يكون هناك علاقة بين الأطفال ووالديهم أو المسئول عنهم من طرف أهلهم، حيث أن:

1. هناك إتصال هاتفي ثابت من قبل الطفل بأهله مرة واحدة في الأسبوع.
2. يقوم الطفل بزيارة أهله مرة كل أسبوعين لمدة يوم ونصف (يوم الخميس بعد إنتهاء الدوام المدرسي وحتى مساء الجمعة).
3. هناك يوم محدد في كل مؤسسة مرة في الأسبوع لزيارة الأهل لأطفالهم في المركز.
4. يتم دعوة الأهل في المناسبات المختلفة للمشاركة مع أطفالهم، مثل الأعياد الدينية وأعياد ميلاد الأطفال، وإحتفالات المؤسسة السنوية.
5. هناك مجموعات إرشادية علاجية للأهل من قبل العمال الإجتماعين.
6. رحلة سنوية مشتركة بين الأهل وأطفالهم، تعطى فيها المسؤولية الكبرى للأهل تجاه طفلهم.

تعريف بالمؤسسات:

1. هوستل الغد: عبارة عن بيت داخلي علاجي للذكور، يقع في منطقة الشيخ جراح في القدس، مخصص لأولاد في ضائقة إجتماعية من جيل 14 – 18 سنة، مكون من شقتين ويتسع لِـ 14 طفل.
2. بيت الحنان: وهو عبارة عن بيت داخلي علاجي لبنات في ضائقة إجتماعية في منطقة جبل المكبر، من جيل 4– 13 سنة، وهو مكون من شقتين ويتسع لـ 12 طفلة.

3. دير سان قنسنت: الواقع عند باب الخليل في القدس، وهو يتألف من طابقين بداخل كل طابق حوالي عشرة غرف للذكور والإناث، حيث يسكن الذكور في الطابق الأول والإناث في الطابق الثاني، وفيه متسع لِـ 30 ذكراً و30 أنثى من جيل 4- 18 سنة.
4. مركز أجيال للبنين: وهو إطار داخلي علاجي للذكور يقع في منطقة شعفاط، المؤلف من أربع طبقات في كل منها شقتين، يضم خمسة بيوت بأسماء مختلفة (بيت الشباب، بيت المستقبل، بيت الرفاق، بيت الفرسان، بيت السنافر)، ويتسع لِـ 54 طفلاً من جيل 6-18 سنة.

الفصل الخامس

محاور الدراسة

المحور الأول:

ما هو الدور الذي تقوم به المؤسسات الداخلية وطواقم العاملين فيها من أجل تعديل أو تغير سلوك الأطفال المقيمين في هذه المؤسسات؟

المحور الثاني:

ما هو الدور الذي يعطى من قبل المؤسسات للأهل، وما الذي تفعله هذه المؤسسات لإشراك الأهل في تعديل سلوك أطفالهم؟

المحور الثالث:

هل تؤثر مشاركة الأهل وتفاعلهم وزياراتهم لأطفالهم في المؤسسة ايجابياً على تعديل سلوك أطفالهم؟

المحور الرابع:

هل هناك علاقة بين مستوى التحصيل العلمي للوالدين وللعاملين في المؤسسات وبين تعديل سلوك الأطفال؟

المحور الخامس:

هل هناك علاقة بين درجة تدين الوالدين والعاملين في المؤسسات وبين تعديل سلوك الأطفال؟

المحور السادس:

هل هناك علاقة بين المستوى الإقتصادي للوالدين وللعاملين في المؤسسات وبين تعديل سلوك الأطفال؟

المحور السابع:

هل هناك علاقة بين نوعية الأسرة(ممتدة، نووية) للوالدين وللعاملين في المؤسسات في تعديل سلوك الأطفال؟

محاور الدراسة

المحور الأول:

ما هو الدور الذي تقوم به المؤسسات الداخلية وطواقم العاملين فيها من أجل تعديل أو تغير سلوك الأطفال المقيمين في هذه المؤسسات؟

هناك عدة أدوار تقوم بها المؤسسات الداخلية من أجل تعديل سلوك الأطفال الموجودين فيها، ويتمثل ذلك، فيما يلي:

1. التجربة المصححة: والمعني بها هنا وجود نموذج إيجابي سليم يعطيهم الحب والحنان ويمنحهم الثقة و الطمأنينة، يحتذى به وبتصرفاته، والذي يتمثل بوجود مرشد ومرشدة في كل بيت مع مجموعة ما بين 9- 10 أطفال، حيث يمثل المرشد دور الأب أو الأخ الكبير، والمرشدة دور الأم أو الأخت الكبيرة، فيشاهد الطفل طريقة تعاملهم مع بعضهم البعض وتصرفاتهم أو سلوكهم نحو الأطفال أنفسهم، التصرف والسلوك السليم الخالي من العنف الجسدي واللفظي، والخالي من المشاحنات والمجادلات السلبية التي عاشها أو شاهدها في بيته الحقيقي بين والديه. وهذا ما يؤكد ويدعم صحة النظرية السلوكية(التعلم الإجتماعي) في تركيزها على ضرورة توفر النموذج الإيجابي الذي يحتذى به وبتصرفاته من قبل الأطفال والذي يساعد في تعديل سلوكهم نحو الأفضل من خلال محاكاة وتقليد ذلك السلوك.

فليس من الضروري أن يوجد الطفل في بيئة ووسط يضم الوالدين البيولوجيين فقط لكي ينشأ سوياً متوافقاً، و لكن الأهم من ذلك توفر النموذج الإيجابي الذي يتولى رعايته ويكون له بمثابة المثل الذي يحتذى به في سلوكه وتصرفاته مع الآخرين، والذي يساعده على التوافق مع مجتمعه فيما بعد. فالرابطة بين الطفل ووالديه كما يرى روتر (1984) لا تحتاج أن تحدث فقط مع الوالد البيولوجي بل يمكن أن تحدث مع الوالد البديل أو مع من يقوم على

رعاية الطفل، و كما يرى أوبتون (1983) فإنه لا الإنفصال المستمر ولا الإنفصال عن الأم البيولوجية أو الأم البديلة الدائمة هي العوامل الأساسية، بل يبدو بالأحرى أن نوعية الرعاية أو الرعاية البديلة هي ذات الأهمية الأساسية. فهناك العديد من الأطفال معرضون لحرمان الوالدين غير أنهم لم ينفصلوا عن والديهم، ولكنهم يعانون من رعاية ضحلة مشوهة داخل المنزل، وهنا نجد أن الوالدين يهملون الطفل أو يولونه إهتماماً ضئيلاً، وقد يكونوا نابذين للطفل بشكل عام، ومثل هذا النوع من الحرمان قد يكون مدمراً، فالنبذ وعدم الإكتراث والعقاب الشديد تسبب السلوك المتوتر والسلبي لدى الأطفال، ولعل ذلك هو ما حدا ببريمنر (1988: 187) إلى تقرير "أن ما يبدو مهماً هو نوعية الإستشارة وإستمرارها، وإذا كانت هذه الإستشارة تتوفر بواسطة العلاج بالأم، فإن العلاقات مع الأفراد الآخرين داخل الأسرة وخارجها ذات أهمية كبيرة لا يمكن إغفالها بحال من الأحوال."

فالمرشدون يقومون بأدوار مختلفة في البيت، فيشاركون الطفل بكل كبيرة وصغيرة، حيث يماثل دورهم دور الأب أو الأم في البيت، سواء بتحضير الطعام أو مساعدتهم في الإستحمام أو في تحضير الواجبات المدرسية أو الخروج معهم برحلات وفعاليات مشتركة وغيرها، حيث يقوم المرشد والمرشدة بتوجيه ملاحظاتهم للأطفال ونقاشهم بكل تصرف خاطئ من خلال الحديث أو العقاب الخالي من العنف بهدف تحسين هذا السلوك وعدم تكراره، وتعزيزهم للسلوك الحسن والثناء عليه بهدف تحسنيه والإستمرار فيه. وهناك جلسات مركزية لكل بيت وأدوات تستخدم في تعزيز السلوك أو التقليل منه، وحين عودة الأطفال من المدارس تكون هناك جلسة تركيز، يتم فيها جلوس الأطفال مع المرشدين بحيث يسأل في هذه الجلسة عن شعور الطفل، وماذا حصل معه اليوم في الشارع أو في المدرسة أو في الحارة، فيتم إرشاده بكيفية حل مشكلاته أو الصعوبات التي واجهته خلال هذا اليوم مع

الثناء على السلوك الحسن والنقاش للسلوك السيئ. كما أن هناك جلسة تقيم السلوك في نهاية اليوم وقبل النوم، والتي تستخدم فيها لوحة التعزيزات والعقوبات، بحيث يحصل الطفل على نجمة لسلوكه الحسن ويحرم منها لسلوكه السيئ، ثم تجمع النجوم في نهاية الأسبوع لإختيار بطل الأسبوع من بين الأطفال، مع إعطائه هدية دعماً لسلوكه المرغوب. حيث أن ذلك يدعم ما تقوله النظرية السلوكية أو نظرية التعلم في تركيزها على العقاب للسلوك السيء أو المرفوض والثواب للسلوك الحسن أو المقبول.

ويقوم المرشدون كذلك بإستخدام أدوات أخرى لتثبيت السلوك بشراكة الأطفال، فيكون لكل بيت لائحة للقوانين والحدود المقبولة والممنوعة مع توضيح نوع العقاب في حالة مخالفتها، وتكون هذه اللوحة معلقة على حائط البيت بحيث يتسنى للجميع قراءتها ومشاهدتها يومياً، إضافة إلى أن هناك فعالية أسبوعية حول موضوع الشهر، مثلاً حول العنف، أو التعاون، أو المراهقة، أو النظافة، أو السرقة، أو الكذب، أو الصداقة، أو الإتصال والتواصل، أو كيفية المحافظة على الجسم، وغيرها من المواضيع التي يشترك فيها العامل الإجتماعي ومرشدو البيت والأطفال.

2. الجلسات الفردية العلاجية، والتي يقوم بها الأخصائي الإجتماعي، فلكل طفل جلسة فردية أسبوعية تتاح خلالها الفرصة للطفل للتعبير عن مشاعره، وكذلك العمل على سلوكيات الطفل من خلال خطة علاجية مبرمجة تهدف إلى دعم السلوك المرغوب والتقليل من السلوك غير المرغوب، إضافة إلى جلسات فردية خاصة مع الأخصائي النفسي حول السلوكيات الصعبة بعد أن يتم تحويل الطفل إليه من قبل الأخصائي الإجتماعي.

3. الجلسات الجماعية، والتي تكون أيضاً من قبل الأخصائي الإجتماعي مع مجموعة أولاد يشتركون بنفس السلوك، وتكون داعمة للخطة الفردية لكل طفل، بحيث يكون تشجيع أكثر للطفل للتعبير والحديث عن سلوكه بجرأة، خصوصاً عند ملاحظته أن الآخرين لديهم نفس السلوك وليس هو فحسب، فيساعد أفراد المجموعة بعضهم بعضاً في تعديل سلوكهم. وهذا ما تتفق معه النظرية السلوكية، بأن تشابه سلوك الطفل مع سلوكيات الأطفال الآخرين من نفس المجموعة يساعده على الشعور بأن هناك من يشبهه في ذلك السلوك وأنه ليس الوحيد، ففي حالة العمل مع المجموعة على تغير ذلك السلوك فإن ذلك يساعده أكثر في قبول فكرة تغير سلوكه، وبإقتناعه أسرع في ذلك، كونه وجد أشخاصاً آخرين يشاركونه في ذلك التغير.

4. إشراك الأهل، حيث أن من سياسات المؤسسات الداخلية الأساسية إشراك الأهل في علاج سلوك أطفالهم، فهناك دور كبير للأهل في ذلك، فَهُم يعتبرون النصف الآخر في إنجاح العلاج مع أطفالهم، فتتم دعوتهم إلى جلسات مع العامل الإجتماعي ومرشدي الأطفال، حيث يتم توضيح ما قاموا بعمله مع طفلهم والخط العلاجي الذي يسيرون عليه حتى لا يكون هناك تضارب في التعامل مع الطفل، إضافة إلى إشراك الأهل في حفلات أعياد ميلاد أبنائهم ومناسبات مختلفة مثل الأعياد العامة والإحتفالات المختلفة الخاصة بالمؤسسة، وكذلك وجود مجموعة علاجية للأهل من قبل الأخصائي الإجتماعي، والتي يتم فيها نقاش مواضيع مختلفة تخص الأطفال و مشكلاتهم المختلفة. وهذا ما يثبت صحة فرضية النظم التي تركز على ضرورة إحداث التغير في النظم المحيطة بالطفل وخصوصاً الأسرة كشرط مساعد لتعديل سلوك الطفل وتقدمه نحو الأفضل، وهذا ما أكدته جميع تلك المؤسسات المدروسة من ضرورة التغير في دور الأهل السلبي نحو طفلهم إلى دورهم الإيجابي من خلال تفعيل العلاقة وتقويتها بينهم

وإعطائهم بعض المهام والمسؤليات الإجتماعية والدينية التي تشعر طفلهم بأن له قيمة وأنه ليس متروكاً أو مرفوضاً، وهذا لا شك أنه يساعد كثيراً في التأثير على النحو الأفضل لأن الطفل كثيراً ما يسمع لكلام والدية وينفذه ويعتبر حضورهم لزيارته بمثابة تعزيز له، الأمر الذي يجعله يشرع في عمل السلوك الحسن الذي يرضي والدية والإبتعاد عما ينفرهم منه.

5. إشراك الأطفال في فعاليات وأنشطة خارجية مثل السباحة، والدبكة، والفن، والموسيقى، وكمال الأجسام وغيرها، بهدف دمجهم في المجتمع وتعلمهم مهارات الإتصال اليومية السليمة مع الآخرين، إضافة إلى تفريغ طاقاتهم بالطرق السليمة والصحيحة. وهذا ما يؤكد ما جاءت به نظرية النظم، أنه من أجل مساعدة الطفل في تعديل سلوكه لا بد من أن يؤثر ويتأثر بمنظومة النظم الموجودة حوله وأن يشعر بأن له مكاناً وقيمة فيها، وكما لا حظنا فإن تلك المؤسسات المدروسة جميعها تؤكد وتركز على إشراك اؤلئك الأطفال ودمجهم في المجتمع من خلال نشاطات وفعاليات مختلفة بنوادي أو بأماكن ترفيه أو تعليم لا منهجي وغير ذلك، لتعلمهم مهارات الإتصال اليومية السليمة في تعاملهم مع الآخرين ولإشعارهم بأنهم جزءاً من هذا المجتمع لهم قيمة ومكانة وأنهم ليس موصومون(بإستيكما) أطفال المؤسسات بل لإشعارهم بأنهم كباقي أفراد المجتمع يستطيعون التأثير في الآخرين والتأثر بهم.

6. الزيارات المدرسية، حيث أن هناك زيارات من قبل أم البيت ومرشدي الطفل للمدرسة بهدف السؤال عن الطفل، سواء من الجانب التعليمي أو الجانب السلوكي، لمعرفة جوانب التقصير من أجل دعمها و تصحيحها، وكذلك توصيل بعض الملاحظات التي يذكرها الأطفال عن المدرسة سواء عن المعلمين أو عن زملائهم الطلبة ومن الأمثلة على ذلك قضية(الإستيكما) حول أنهم

أطفال مؤسسات لإحداث التعاون بين معلمي المدرسة وطاقم المرشدين أو المؤسسات بالتغير قدر الإمكان لمصلحة ذلك الطفل. وهذا دليل آخر على صحة نظرية النظم بضرورة إحداث التغير والعمل مع تلك النظم المحيطة بالطفل بما يخدم مصلحتة، ومن تلك النظم: المدرسة حيث تبين من خلال الدراسة أن جميع المؤسسات تعطي دوراً كبيراً للتواصل مع المدرسة التي يتعلم بها الطفل سواء بأخذ الملاحظات عن الطفل حول الجانب التعليمي والجانب السلوكي أوبتوصيل ملاحظاتهم وملاحظات الأطفال لإدارة ومعلمي المدرسة ايماناً منهم بضرورة الإتصال والتواصل لما في ذلك من تقدم في الجانب السلوكي والتعليمي على الطفل، خصوصاً وأن الطفل يشعر بأن هناك من يسأل عليه ويتابعه وأنه ليس وحيداً أو مقطوعاً من شجرة.

نستخلص مما سبق أن الأساس الذي تعتمد عليه المؤسسات الداخلية هو النموذج الإيجابي من المرشدين الذين يمثلون بسلوكهم وتصرفاتهم وتعاملهم مع بعضهم البعض ومع الأطفال أنفسهم نموذج الأخ أو الأخت الكبرى أو الأب أو الأم، ومن هنا يأتي تشديد المؤسسات الداخلية في إختيار العاملين فيها ضمن شروط وقوانين تتلاءم مع قوانين وأنظمة المؤسسة والأهداف التي أنشئت من أجلها، والتي من أساسها الرعاية السليمة لهؤلاء الأطفال وتعويضهم عما فقدوه من جانب الأهل، وبالذات التجربة المصححة لما شاهدوه وتعلموه من سلوكيات أو تصرفات غير مقبولة، سواء تمثلت بعنف شديد أو إنحرافات معينة كالسرقات والجرائم والغش والكذب والخداع وغيرها، إضافة الى أنها تهدف إلى جعل هؤلاء الأطفال أفراداً فاعلين في المجتمع وليس كفئات مدمرة تؤثر سلباً على المجتمع، فهي تحرص منذ طفولتهم على دمجهم بالنشاطات المختلفة في المجتمع وإحتكاكهم بباقي فئات المجتمع حتى يشعروا بأنهم أعضاء فاعلين كباقي الأفراد، الأمر

الذي يقلل من حقدهم أو غيرتهم من الآخرين ويحول طاقاتهم الى طاقات بناءة بدلاً من مدمرة. كما أنه من الواضح من خلال ما عرض أن هذه المؤسسات تولي دوراً كبيراً للأهل من خلال حرصها المتواصل على العلاقة بينهم وبين أطفالهم، سواء بالزيارات المتبادلة أو المشاركة في الإجتماعات والمجموعات الإرشادية والإحتفالات والنشاطات المختلفة التي تهدف إلى تعزيز التواصل بين الأهل وأطفالهم لما في ذلك من تأثير ايجابي على سلوك الأطفال.

المحور الثاني:

ما هو الدور الذي يعطى من قبل المؤسسات الداخلية للأهل، وما الذي تفعله هذه المؤسسات لإشراك الأهل في تعديل سلوك أطفالهم؟

إن الطفل الذي يعيش بعيداً عن أسرته، أي الطفل الذي يتعرض للحرمان من الوالدين ومن جو الأسرة الطبيعي، يفقد كل الأمور والمميزات التي يكتسبها من خلال الأسرة والجو الأسري الطبيعي. فالطفل الذي يعيش في أسرة أصابها التفكك أو يعيش محروماً بعيداً عن أسرته كأطفال المؤسسات، هو طفل حرم من عائد نفسي وإجتماعي كان المفروض أن يعود عليه من خلال وجود الأسرة وتأديتها لوظائفها الأساسية. فلا شك أن للأسرة أهمية كبيرة في حياة كل طفل، وفقدان الجو الأسري والقصور في الإهتمام برعاية الأطفال يؤدي إلى نتائج وخيمة لهذه الفئة ولمجتمعهم. فالأسرة هي الجماعة الأولى التي تتلقف الطفل بعدما يرى النور، وهي الوحدة التي تخلق لدى الفرد شعور الإنتماء وتعلمه معنى المسؤولية، وتغرس القيم والمبادئ الإجتماعية في نفسه، وتمده بالخبرات في أثناء سنواته التكوينية. كما وتعتبر الأسرة أكثر الجماعات وحدة وتماسكاً ومن أهم العوامل الثابتة في حياة الطفل، وبالتالي تمثل أكبر قوة تؤثر على سلوك الفرد، والقدوة التي يتخذ الطفل منها نماذج يسير عليها في حياته (قاسم، 2002).

ولذا فإن المؤسسات الداخلية تعتبر دور الأهل وشراكتهم من الأمور المهمة والضرورية في تعديل سلوك أطفالهم وتقدمهم نحو الأفضل، حيث أن حضور الأهل للمؤسسة والسؤال عن طفلهم ومشاركتهم له في بعض الفعاليات والمناسبات تُشعر الطفل أنه ما زال محبوباً ومهماً، وأنه ليس متروكاً وحده في المؤسسة، الأمر الذي يساعد كثيراً في تقدمه سلوكياً وإجتماعياً ونفسياً وتعليمياً. فوجود الأهل يشكل مصدر دعم وثقة وأمان للطفل، حيث أكد كثير من المبحوثين أن تعاون الأهل وحضورهم وزيارتهم بين الفينة والأخرى يسرع في تعديل سلوك أطفالهم. في حين أن الطفل

الذي لا يأتي أحد من أقربائه لزيارته يزداد سلوكه سوءاً، خاصة وأنه يلجأ أحياناً للإنتقام من الأهل لعدم حضورهم لزيارته. فمن خلال ملاحظاتي في المؤسسات ومشاركتي في الأعياد والإحتفالات المختلفة لاحظت أنه في حالة عدم حضور أهل الطفل للمناسبات الخاصة أو أيام الزيارات المحددة فإن الطفل يصبح عنيفاً جسدياً ولفظياً تجاه الأطفال والمرشدين، فيتمرد على تعليماتهم ويأخذ بتكسير أغراضه والعبث بأغراض غيره أو بممتلكات المؤسسة، أو يشرع بالبكاء ويعزل نفسه عن الآخرين ويرفض الحديث معهم. في حين أن الأطفال الذين يحضر والديهم لزيارتهم يكونون مبتهجين متفاخرين أمام الآخرين، الأمر الذي ينعكس على سلوكهم بصورة إيجابية ملحوظة.

من هنا كان تشديد المؤسسات الداخلية على دور الأهل، وعلى إعطاء الأهل بعض الأدوار والمسؤوليات من أجل التعديل في سلوك أطفالهم، ومنها:

1. الإشتراك في المجموعات العلاجية التي يقيمها الأخصائيون الإجتماعيون داخل المؤسسة، حيث يتم عقد مجموعات علاجية للأهل مرة كل أسبوعين، يُرشد الأهل فيها إلى كيفية التعامل مع مشاكل أطفالهم، ومراحل تطور الأطفال وطرق التربية السليمة لهم. كذلك تتناول هذه المجموعات مواضيع مختلفة يتم تحديدها بناءً على حاجة الأهل، وغالباً ما تتناول موضوع الشهر الذي يعمل المركز أو المؤسسة عليه، فيشرح الأخصائيون للأهل ما تقوم المؤسسة به، وذلك لإكمال دور المؤسسة مع طفلهم في البيت. وتشمل هذه المواضيع مراحل تطور الطفل، والمراهقة، والجنس، والحب، والإحترام، والصداقة، والتعاون، والإتصال والتواصل، وخصوصية الجسم والمحافظة علية، والسرقة، والغيرة، والتبول اللاإرادي، والعنف، والكذب، والعناد، والخوف.

2. المشاركة في المناسبات المختلفة كأعياد ميلاد الأطفال، وهي ضرورية جداً بالنسبة لكل طفل، وذلك كما ذكر المبحوثون وكما شاهدت بنفسي في المؤسسات، حيث يكون الطفل بإنتظار والديه حتى لو كان قد تعرض لعنف من قبلهم في الماضي، حيث أنه يشعر بثقة ودعم وأنه ليس متروكاً وحده، فيباهي بهم زملاءه والعاملين في المركز. كما أن الأهل يشاركون في الإحتفالات الدينية والمناسبات الإجتماعية، ففي شهر رمضان مثلا، يدعى الأهل إلى مأدبة إفطار بهدف إشعار الطفل بالجو الأسري وتعميق العلاقات بينه وبين والديه، إضافة إلى إحياء أمسية رمضانية يشترك فيها كلا الطرفين. كما وتحرص المؤسسات على القيام برحلة ترفيهية مرتين في السنة يشترك فيها الأهل والأطفال، حيث تعطى في هذا اليوم المسؤولية الكاملة للأهل، لإشعار الأهل بمسؤوليتهم تجاه أطفالهم وبأن هؤلاء الأطفال ما زالوا أبناءهم وما زالوا بحاجة لدعمهم وعطفهم وحنانهم، الأمر الذي يكون وقعه كبيراً على الطفل وسلوكه.

3. إشراك الأهل في فعاليات خاصة مع أطفالهم بهدف تعميق وتوطيد العلاقة بين الأهل وأطفالهم وإشعارهم بالجو الأسري الحقيقي ولو لبضع ساعات، حيث يطلب من الوالدين أو أحدهما (إذا كانوا مطلقين أو منفصلين) بالحضور مرة واحدة في الشهر، فيطلب من الأب أو الأم أو كليهما قضاء وقت (ساعتين على الأقل) مع طفلهم داخل البيت الذي يعيش فيه في المركز أو المؤسسة، ومشاركته الحقيقية فيما يقوم به، كتحضير دروسه وحل الواجبات المدرسية معه، أو ترتيب خزانته، أو الدخول إلى غرفته وممارسة لعبة معينة، أو تحضير وجبة طعام، وغير ذلك. ومن شأن هذه المشاركة أن تخفف من شعور الطفل بالبعد عن أهله، فتقرب وتقوي العلاقات بينهم، حيث أن الأطفال يستقبلون مثل هذه الأيام بالكثير من

مشاعر الشوق لحضور أهلهم، وبالفرحة العارمة التي تظهر على وجوههم وتنعكس على سلوكهم.

4. الإتصال الهاتفي، حيث تحرص المؤسسات على أن يكون هناك إتصال أسبوعي منظم من قبل الطفل مع أهله ليطمئن عليهم ويطمئنهم على نفسه. كما ويقوم المرشد بإعطاء تغذية راجعة للأهل عن سلوك ووضع طفلهم، مع حرصه على أن يذكر بعض الأمور الإيجابية عنه.
5. الجلسات الفردية مع العامل الإجتماعي، حيث يدعى الأهل إلى هذه الجلسات حسب الحاجة، فيهدف بعضها إلى مساعدة الأهل في حل مشكلة قائمة لدى طفلهم، سواء مع الطاقم أو مع الأطفال أو في المدرسة أو غيرها من الأماكن، ثم الإرشاد في أمور خاصة تتعلق بطفلهم لمتابعتها معه في البيت في أيام زيارته لهم، ويهدف بعضها الآخر إلى إشراك الأهل في الإيجابيات التي تطرأ على أوضاع طفلهم وسلوكه.

نستخلص مما سبق أن تلك المؤسسات، على الرغم من توفر النماذج الإيجابية من قبل طواقم العاملين فيها، تولي إهتماما لوالدي الطفل أو أحد أقاربه، لما يشكله هؤلاء من عنصر داعم للطفل ومؤثر في سلوكه. وغالباً ما يخضع هذا الدور لرقابة الطاقم المختص، كالأخصائيين الإجتماعيين، وذلك لأن تأثير بعض الأهل يكون سلبياً على الطفل وسلوكه، الأمر الذي يُؤخذ بعين الإعتبار في عمل المجموعات العلاجية التوجيهية، فتناقش تحت عنوان "كيف أكون أباً وأماً ايجابياً داعماً لطفلي" (والدية ايجابية)، خصوصاً وأن الأطفال في نهاية المطاف يعودون للعيش مع الأهل أو مع من تقع عليهم المسؤولية من أقاربهم، فلا بد من أن تهيأ الأجواء لذلك ويستمر التواصل بين الأهل والمؤسسة كي يسير الأهل في نفس

الخط الذي سارت عليه المؤسسة مع أطفالهم. وهذا ما يؤكد صحة نظرية النظم التي تؤكد على أنه من أجل إحداث التغير في سلوك الطفل لا بد من إحداث التغير في النظم المحيطة به وبالذات الأسرة لما في ذلك من أهمية وأثر كبير في حياة الطفل وسلوكة، فكما لاحظنا أن تلك المؤسسات المدروسة جميعها أكدت على ضرورة دور الأهل ومشاركتهم للطاقم في إحداث السلوك الحسن لدى طفلهم على إعتبار أنهم يشكلون عنصر داعم للطفل ومؤثر في سلوكه حيث أن المؤسسات لا تكتفي بزيارة الأهل أو مشاركتهم طفلهم في المناسبات والأعياد بل تعطيهم مهام وأدوار وتشركهم في المجموعات العلاجية، التي غالباً ما تُركز جلّ دورها "كيف أكون أباً وأماً ايجابياً داعماً لطفلي".

المحور الثالث:

هل تؤثر مشاركة الأهل وتفاعلهم وزيارتهم لأطفالهم في المؤسسات الداخلية ايجابياً على تعديل سلوك أطفالهم؟

لقد أجمعت الدراسات على أن الطفل المحروم من الرعاية الوالدية يعاني في أكثر الأحيان من الإضطرابات في شخصيته، وفي بعض الأحيان يكون غير متوافق مع مجتمعه (Owens، 1987). فالأسرة تعتبر بمثابة أساس آمن (Secure Base) يستطيع الطفل من خلاله أن يجرب طرقاً جديدة للإستطلاع والإستجابة لبيئته. فالأطفال الذين وصفوا بأنهم "كانوا مرتبطين بوالديهم بشكل آمن حينما كانوا صغاراً (من سن 3– 7)، كانوا أكثر رضاً، وأكثر قدرة على أن يكونوا منشغلين حينما يكونون بمفردهم، ويملكون علاقات أفضل مع الناس، وأكثر قدرة على السلوك الملائم لسنهم." (Brody & Axelard، 1987: 243)

ولذا فإننا نجد أن الأبحاث التي أجريت في هذا المجال تؤكد على ما تحدثه الآثار العكسية للحرمان من الرعاية الأسرية، وذلك حينما تطرأ على الأسرة ظروف تمنعها من تحقيق وظائفها. ومن هنا فإننا نجد أن الأطفال المحرومين من الوالدين، كأطفال المؤسسات مثلا، يتميزون بالتخلف في جوانب شخصياتهم، سواء عقلياً أو إنفعالياً أو إجتماعياً. وعلى أية حال، فإن الحرمان من الوالدين بشتى صوره، سواء كان حرماناً عقلياً بفقد الوالدين أو حرماناً من العلاقة المشبعة معهما، له آثار شديدة الخطورة على الطفل وعلى نواحي نموه المختلفة. فحين نقوم بدراسة التاريخ الأسري للأطفال ذوي الإضطرابات السلوكية ومفاهيم تقديرات الذات المنخفضة، نجد أنه تاريخ يتسم بالنزاع والشقاق، فهناك إنفصال متكرر وطلاق، بل أن الوالدين أنفسهم، في حالة وجودهم، قد يمارسون تأديباً وتربية قاسية غير ثابتة وغير متسقة، ولقد وجد أن النماذج

العدوانية من إضطرابات السلوك موجودة بين الأطفال الذين تم إيداعهم في المؤسسات في عمر مبكر (Owens، 1987).

على الرغم من أن معظم الدراسات تؤكد على أهمية وجود الوالدين في حياة طفلهما، إلا أن المبحوثين أكدوا أن ذلك يتوقف على من تكون هذه الأسر، فقد ذكروا أنه إذا كان الأهل (الأب أو الأم) إيجابيين في حياة الطفل، بمعنى أنه إذا كانت هناك علاقة ايجابية مع الطفل وتعامل حسن تجاهه، فيأتي الأهل ليسألون عنه ويهتمون بتطوره التعليمي والسلوكي والإجتماعي ويحضرون إلى المؤسسة للمشاركة في بعض الفعاليات أو الإحتفالات ولإعطائه الدعم والشعور بأنه ليس متروكاً وحده، ويقومون بالإتصال به والإهتمام بأمره، فإن ذلك بلا شك يساعد كثيراً في تعديل سلوك الطفل إلى الأفضل. فالأطفال يهتمون كثيراً بحضور أهلهم لزيارتهم في المؤسسة، ومن خلال ما ذكره المبحوثون وما لاحظته في المركز من سلوك الأطفال عند وجود أهلهم ومشاركتهم لهم بإحتفالاتهم وترتيب خزائنهم أو مساعدتهم في واجباتهم المدرسية وغير ذلك، يتبين بوضوح أن مشاعر الأطفال في مثل هذه الأيام تغلب عليها الفرحة العارمة والسعادة الفائقة، حيث يشعرون أنهم ليسوا وحدهم وأن الأهل ما زالوا يتذكرونهم ويحبونهم، وأن لهم عندهم مكانة، ويزداد لديهم الأمل بالخروج من المؤسسة قريباً إذا ما تحسنت ظروف والديهم، وينعكس كل ذلك إيجابياً وبشكل ظاهر للعيان في سلوك الأطفال، حيث يصبحون أكثر إطاعة لأوامر المرشدين وأكثر إلتزاماً بقوانين وأنظمة المؤسسة، ويصبحون أكثر إستعداداً لإبداء مشاعر المحبة والمودة تجاه زملائهم، ويقل العنف اللفظي والجسدي، ويزداد حرصهم على الإهتمام ببرنامجهم التعليمي والمشاركة الإيجابية بالفعاليات والنشاطات المختلفة. في مقابل ذلك، هناك بعض الأهل ممن يؤثر حضورهم سلبياً على سلوك أبنائهم، فهم يأتون لمجرد القيام بواجب يصر عليه العاملون في المركز، فتكون زيارتهم للمؤسسة على عجل، ولا يهتمون بمشاعر أطفالهم بالقدر المتوقع، فيتكون

لدى الطفل شعور بأنهم لا وقت لديهم، وبأنه على هامش حياتهم، بل إن بعض الآباء يبدءون بإشراك أبنائهم في صراعاتهم الزوجية، وقد ذكر أحد العاملين (مسئول بيت، 36 عاماً وله 8 أعوام في المؤسسة) على لسان إحدى الأمهات: "أنظر ماذا عمل أبوك، ضربني، شتمني، طردني... أنظر العلامات على جسمي! أبوك لا يأتي إلى لبيت... مفيش عندنا أكل." وبعضهم يأخذ بالشكوى من الوضع المادي ويلوم طفله على دعوته له للحضور، فقد ذكر أحد العاملين (مسئول بيت، 39 عاماً ويعمل منذ 8 سنوات في السكن الداخلي) على لسان الأهل: "ما تظلك تتصل وتدعيني وتقول لمرشدينك يدعوني مرة ثانية، لأنه مفيش أجار الطريق. على الأقل أنت بتوكل وبتشرب، إخوتك الثانيين يا دوب بلاقوا الخبز." وبعضهم يحضر وكأنه لم يحضر، فلا يشارك نهائياً، بل يجلس ويتفرج بحجة أنه مضغوط نفسياً ولا يقوى على المشاركة، ويشعر الطفل بأنه عبء ثقيل على أهله وأنهم حضروا رغماً عنهم، الأمر الذي ينعكس سلباً على تصرفات الطفل.

وعلى الرغم من ذلك فقد أكد كثير من المبحوثين على أن حضور الأهل مهما كانوا، يشكل دعماً نفسياً وعاطفياً لأطفالهم، حيث أنهم يتفاخرون ويتباهون بهم أمام طاقم العاملين وأمام الأطفال الآخرين، في حين أن عدم حضور الأهل ومشاركتهم يدخل الأطفال في حالة من الإحباط النفسي التي تنعكس على تصرفاتهم بالعنف و التكسير واللامبالاة، والسرقة أحياناً للفت الإنتباه وإجبار الأهل على الحضور، فكثيراً ما يلجأ الأطفال إلى إفتعال مشكلة مع زملائهم أو عصيان أوامر المرشدين لإجبار المرشدين على الإتصال بالأهل وطلب حضورهم لتهدئة روع طفلهم وحل مشكلته، ولقد أشار جعفر(1990) إلى أن الأطفال الذين يعيشون في مؤسسات إيوائية، حتى مع توفير الرعاية الكاملة لهم وإشباع إحتياجاتهم الطبيعية، لا ينجحون في حياتهم ما لم تشبع إحتياجاتهم الإنفعالية والعاطفية.

إن زيارة الأهل ودورهم المشارك مع طفلهم يخلق لدى الطفل شعوراً بالأمان والإستقرار، ويزيد من ثقته بنفسه، مما يتيح له فرص النمو والتكيف النفسي والإجتماعي السليم، كما ينمي فيه روح التعاون مع الآخرين في البيئة التي يعيش فيها، في حين أن إنقطاعهم عنه وعدم شراكتهم معه يؤثر عليه سلباً وقد يفقده مقومات شخصيته وربما بعض الخصائص الإنسانية، كالرغبة في الإجتماع مع الآخرين والتعاون وإقامة العلاقات معهم، حيث تعتبر حاجة الفرد إلى أن يَحب ويُحَب من الحاجات الأساسية للطفل، فالطفل الذي يفقد عاطفة الحب من أسرته قد لا يعرف ماذا تعني هذه العاطفة، ومن المتوقع أن يفقد هذه العاطفة عند تعامله مع الآخرين. ولذا فإن الحرمان من وجود الوالدين ومشاركتهم له من أهم المؤثرات السلبية على نمو الأطفال الجسمي والنفسي والإجتماعي والسلوكي (الحوات وآخرون، 1989).

نستخلص مما سبق أن زيارة الأهل وتواصلهم مع أطفالهم مهمة جداً بالنسبة لأطفالهم وتترك أثراً كبيراً على سلوكهم، وحتى لو كان حضور بعضهم سلبياً فإن الأطفال يتباهون بحضور والديهم وأقاربهم أمام الطاقم وأمام زملائهم، خصوصاً وأن العائلة في مجتمعنا العربي تعني الكثير لكل فرد، وكما يرى بركات (1984) فأن العلاقات بين أفراد العائلة في مجتمعنا العربي أكثر تماسكاً، والولاء فيها للعائلة وللعشيرة شديد جداً، حيث يصفها بأنها "علاقات شخصانية، وثيقة، لارسمية، تعاونية، فئوية، يستمد منها الفرد دعماً وإكتفاءً ودفئاً وإطمئناناً نفسياً، ويلتزم من خلالها إلتزاماً كلياً بالأقرباء والمقربين في حياته." (20)

المحور الرابع:

هل هناك علاقة بين مستوى التحصيل العلمي للوالدين والعاملين في المؤسسات الداخلية وبين تعديل سلوك الأطفال؟

لا شك أن للتعليم دور هام في حياة الإنسان، فهو أساس التقدم والنجاح في مجتمعنا، فهو الذي يصقل شخصية الإنسان ويقوي ثقته بذاته ويساعده على إحتلال مكانة في المجتمع، كما ويساعده في حياته تجاه أطفاله وبيته.

يعتقد كثير من المبحوثين أن "الذي يعرف ليس كالذي لا يعرف"، وأن المتعلم يختلف في نواحي كثيرة عن غير المتعلم.ومن حيث مستوى التعليم للعاملين فإن معظم العاملين(36 من أصل46) أكد أن لسنوات التعليم دور كبير في التأثير على السلوك نحو الأفضل، حيث أن ذلك يجعل من عامل المؤسسة أكثر نضجاً ووعياً في فهم الأمور وقراءة السلوك والوصول إلى حلول ووضع خطط وبرامج كما ينبغي، ويكون أكثر معرفة بالإرشاد والطرق السليمة في تعديل السلوك، فهناك كل يوم أمر جديد في العلم.

وذكر أحد العاملين (40 عاماً، مركز مرشدين، متزوج ولديه ولدان، بكالوريوس علم نفس، 8 سنوات عمل في الداخلي): "بالإضافة الى أن التعليم العالي كالبكالوريوس والماجستير والدكتوراه تساعده (أي عامل المؤسسة) على إحتلال مركز هام في المجتمع، فهو كذلك يساعده في عمله في المؤسسة الداخلية، حيث أنه يشارك بالقرارات ووضع البرامج والخطط الملائمة في تعديل السلوك، في حين أن الذي مستواه التعليمي أقل يكون أقل مشاركة في تلك البرامج والخطط، ودوره يقتصر على الإرشاد اليومي للأطفال ومتابعة إحتياجاتهم وتنفيذ البرامج الموضوعة."

كما ذكرت إحدى الأمهات (38 عاماً، إعدادي، ربة بيت، متزوجة ولديها 6 أطفال، ولدين منهم في الداخلي): "كل ما تعلم أكثر بصير عنده راس ووعي أكثر، بقدر يعالج ويفهم ليش الأولاد

بتصرفوا هيك، شو بالضبط لازم يعمل معهم، وكمان بجيب طرق جديدة لإرشاد الأهل ليساعدهم على حل مشاكل أولادهم."

وهناك فئه من العاملين ذكروا أن "الأهم من مستوى التعليم هو الخبرة والإستكمالات في هذا المجال، فالذي لديه سنوات خبره وقديم في هذا المجال لا شك أن ذلك يساعد كثيراً في تعديل السلوك، فقد يأتي عامل إجتماعي أنهى ستة سنوات من التعليم وبنفس المجال، ولكنه لا يحسن التصرف والتعامل والتأثير في السلوك مثل أولئك الذين درسوا أربع سنوات ولكن لهم تجارب وخبرات ووعي وفهم لما يبدر من سلوك الأولاد."

وذكرت إحدى العاملات (38 عاماً، مسؤولة بيت، 9 سنوات عمل في سان فنسنت، بكالوريوس تربية، متزوجة ولديها بنتان): "نعم، لسنوات التعليم تأثير كبير على السلوك إذا إقترن ذلك بالخبرة والتجربة، لأن الذي يسعى فقط للحصول على الشهادات قد يمكنه من أخذ مركز وإحتلال موقع في العمل أفضل ممن أقل منه مستوى، إلا أنه ينقصه الخبرة وكثيراً ما يلجأ لمن لديهم خبرة لمساعدته... الذين يكونون أكثر وعياً وفهماً وتأثيراً في سلوك هؤلاء الأطفال."

لقد ذكر بعض المبحوثين من العاملين أنه إلى جانب مستوى التعليم هناك أمور أخرى تلعب دوراً مهماً، فالمهم أن نسأل أنفسنا: هل جئنا الى العمل، أم جئنا لنعمل؟ فالمقصود بـ"جئنا الى العمل" أن ما يهمنا هو قضاء ساعاتنا وأخذ راتبنا، في حين يفهم من "جئنا لنعمل" أننا نعمل من قلبنا من أجل هؤلاء الأطفال، نقدم كل ما لدينا من طاقات وقدرات ومهارات، وهذا هو ما يساعد في التأثير والتغيير وفي تقدم سلوك الأطفال نحو الأفضل، وقد ذكر أحد العاملين (مرشد،32 عاماً، بكالوريوس علم إجتماع،5 سنوات من العمل في مركز أجيال، أعزب): "المهم أن يأتي الموظف ليعمل وليس إلى العمل، فما الفائدة إذا كان متعلماً تعليماً عالياً ولا يهمه سوى قضاء

ساعاته وجمع النقود دون الإلتفات كثيراً لمسلكيات هؤلاء الأطفال، ففي النهاية تحسنوا أم لم يتحسنوا فراتبه وصله."

وهناك بعض الأهل ممن ذكروا أنه إلى جانب إيمان عامل المؤسسة بالتعليم ، فإذا لم يقترن ذلك بالحب والعطف والحنان الحقيقي لدى ذلك المتعلم، وبإيمانه من القلب بمساعدة هؤلاء الأطفال، فإن ذلك يكون مجزوءاً ومنقوصاً، لأن هؤلاء الأطفال حرموا الحنان والعطف والإهتمام. وذكرت إحدى الأمهات (44 عاماً، أمية، ربة بيت، متزوجة ولديها 6 بنات وولدان، الولدين بالداخلي): "أولادنا ناقصهم عطف وحنية وفهم مشاعرهم، لأنهم ضحية، لا ذنب لهم، ما أخذوا منا الحنان ولا فهمنا مشاعرهم ولا حسينا فيهم، منتصايح أنا وأبوهم ومنضرب بعض وهم مساكين بتفرجوا، بشربوا الحسرة، ما حدا بنتبه لهم."

وقال أحد الآباء (39 عاماً، طريش، إعدادي، متزوج ولديه 4 أولاد وبنتان، ولدان في الداخلي): "ما بشك إنّ كل ما تعلم الإنسان بزيد معرفة، بتزود بطرق جديدة في الإرشاد وبزيد فهمه ووعيه للأمور، ولكن إذا كان قلبه قاسي ما فيه حنية وعطف يقدمه للأولاد، شو فايدة تعليمه؟ لأنه إللي بده يساعد الأطفال لازم يحس فيهم من قلبه ويعطف عليهم، أما إذا كان متعلم وعنده القدرة على الحنية والعطف فهذا أكيد بساعد كثير على إنه يحسن سلوك الأطفال ويحل مشاكلهم."

أما فيما يتعلق بمستوى تعليم الوالدين، فإن الغالبية العظمى من المبحوثين، سواء من أهالي الأطفال أو العاملين، أكدوا أن هناك علاقة طردية بين تعلم الأهل وبين تعديل سلوك أطفالهم، فكلما زاد مستوى تعليم الأهل زاد ذلك في تعديل سلوك أطفالهم، "حيث أن نمو الطفل وخصائصه السلوكية يتأثر كثيراً بالظروف والأحوال الأسرية، فيتأثر النمو الإدراكي للطفل بخصائص الأم ومستوى تعليمها وخصائص الأسرة ومستوى دخلها." (سميث، 1993: 133-134)

"فالمستوى التعليمي والثقافي للأسرة يؤثر على مدى إدراكها لحاجات الطفل وكيفية إشباعها، والأساليب التربوية التي يتبعانها في معاملة الطفل وكيفية إشباع حاجاته، وبالتالي تقع الأسرة دون قصد في كثير من الأخطاء التي تؤثر على أطفالها، كما يؤثر هذا المستوى أيضاً في إقبالهم على الإستعانة بالجهات المتخصصة ومكاتب الإستشارات في تربية الطفل، مما يسهم في غياب البيئة الأسرية ذات المستوى المواتي للتربية الصحيحة، ولا يتوافر الأساس السليم للقيام بالدور التوجيهي والإرشادي للأبناء، والذي من شانه أن ينمي قدرات الأبناء العقلية والحركية والوجدانية المهمة في تحقيق مجتمع الغد الذي نصبو ونتطلع إليه، فضلا عن الأثر السيئ الذي ينعكس عليه من والديه نتيجة لعدم معرفتهما لطبيعة مراحل نموه، مما يسبب مضايقات كثيرة للطفل قد تكون سبباً في إنحراف سلوكه." (بهادر،1987: 2)

ولقد أكد المبحوثون أنه لو كان الوالدان متعلمان لما وصل أطفالهما الى المؤسسات، حيث أنهم يفتقدون طرق التعامل الصحيحة بين بعضهم البعض فيلجئون الى العنف والصراخ أمام الأطفال، الأمر الذي ينعكس على الأطفال وسلوكهم، حيث يتعلم الطفل أن الضرب أو العنف هو طريقة حل المشاكل، وبالتالي يلجأ لهذا السلوك السيئ بعيداً عن طرق الحوار والتفاهم والنقاش في حل المشاكل. فكلما كان الوالدان متعلمين كلما كانت مهاراتهم وخبراتهم في الحياة أكثر إنفتاحاً ووعياً وإدراكاً وإكتساباً لمهارات التعامل مع أطفالهم نتيجة لإحتكاكهم بمعترك الحياة من الجانب العلمي. وقد تراوح مستوى تعليم أهل الأطفال الموجودين في المراكز ما بين الابتدائي والإعدادي، الأمر الذي قد يدل على أن أغلب أطفال المؤسسات هم لوالدين ذوي مستوى تعليمي بسيط.

"يعتبر المستوى التعليمي للوالدين من أهم العوامل المؤثرة في إتجاهاتهم نحو أبنائهم، حيث يؤثر المستوى التعليمي للوالدين على شعورهم بكفاءتهم للقيام بأدوارهم في تربية أبنائهم والتأثير في إتجاهاتهم نحوهم لتكون أكثر هدوءاً وتقبلاً." (الزعبي، 2001: 108)

كما تلعب أساليب التنشئة والمعاملة التي يتبعها الوالدان دوراً كبيراً في تأخر الأطفال عن أقرانهم في الدراسة، لما يتبعه الوالدان من أساليب غير سوية في المعاملة، فالأطفال الأقل تعليماً أكثر ميلاً لإستخدام أساليب القسوة والإهمال، وأقل ميلاً لإستخدام أساليب الشرح والتفسير.

"أكدت الدراسات عن أثر مستوى تعليم الوالدين في تربيتهم وتعاملهم مع أطفالهم أن الوالدين يميلان الى البعد عن التشدد والعقاب البدني في أساليب تعاملهم مع مسلكيات أطفالهم، والإتجاه نحو إستخدام المناقشة وإستخدام الأساليب العلمية الجديدة كلما إرتفع مستواهم التعليمي، مما يشير إلى أهمية المستوى التعليمي للوالدين وأثره في تعديل سلوكياتهم وفي ممارسة دوريهما على نحو متوازن." (الهمشري،2001: 324)

"كما ويعتبر المستوى التعليمي للوالدين ذا تأثير على الدور الوظيفي للأسرة، ذلك لأن المستوى التعليمي يعتبر دليلاً على الخبرات المكتسبة للوالدين من خلال المواقف التعليمية واليومية التي عايشها الوالدان أثناء تعليمهم، وهذه الخبرات تساعدهم على تعاملهم مع مسلكيات أبنائهم." (الكتاني،2000: 85)

ذكرت إحدى الأمهات (43 عاماً، أمية، ربة بيت، متزوجة ولديها 3 أولاد و4 بنات، ولدين وبنت في الداخلي): "لو أني درست وتعلمت كان عرفت أربي أولادي وأتعامل أحسن مع زوجي. مش بس أنا، كمان زوجي ما تعلم بالمرة. بظل يلومني ويعاتبني ويحملني مسوؤلية عدم معرفتي لتدريس أبنائي، وبهددني بالزواج عليّ لأنه بده أولاد متعلمين مع إنه هو مش متعلم. من هان بلشت مشاكلنا أمام أولادنا. كان يضربني ويكسّرني أمامهم، لحتى شفقت عليّ جارتي ونصحتني أدخل أولادي داخلي حتى ما يتعقدوا وما يكونوا ضحية، ومنه غاد بتعلموا."

وذكرت أم أخرى (36 عاماً، ابتدائي، عاملة نظافة، متزوجة ولديها 4أولاد،2 في الداخلي): "لو أنا متعلمة كان بعرف أتعامل مع أولادي زي الناس، زي ما أعطانا الأخصائي الإجتماعي (موجه

ومرشد المجموعات العلاجية) عن التعامل مع تصرفات أولادنا، مثل إنك تعاقبه لمّا بغلط وتكافؤه أو تجيب له هدية لمّا بعمل إشي مليح. إن كان أنا والاّ أبوه، ما بنعرف غير وين إلي بوجعك، على شان هيك وديتهم على الداخلي، بلكي بتعلموا وبنفكوا من مشاكلي ومشاكل جوزي اللي ما بتتوقف ولا بتنتهي."

"الأم هي التي تقوم بالقسط الأكبر في تربية الطفل وتنشئته خاصة في السنوات الأولى من حياته، ويؤثر الأسلوب الذي تستخدمه معه تأثيرا كبيراً في تكوين شخصيته، لذلك تعتبر إتجاهات الأم وتوقعاتها نحو تربية الطفل من الأمور بالغة الخطورة في تحديد دورها في حياة أبنائها." (دياب، 1986: 141)

"الشائع أن الأمهات تقمن بتربية أولادهن بدون تدريب أو دراسة، فهن ينشئن أطفالهن بما عندهن من حب طبيعي، ولكن الحب وحده لا يكفي لتربية الطفل التربية الصحيحة، فالحب لا يقوم مقام العلم أو يغني عنه، فلن يستطيع الوالدان بالحب وحده مواجهة حاجات الطفل ومطالب تربيته الجسمية والنفسية والخلقية السليمة، لذلك يلجأ بعض الآباء في دول متقدمة الى إستشارة المختصين لمعرفة الطرق السليمة في تربية الأطفال والتعامل مع مسلكياتهم، ويتلقى بعضهم تدريباً عملياً حتى يتمكنوا من تلبية حاجات أطفالهم النفسية والتربوية، ويرى العديد من الباحثين أن إعداد الأم لتربية الطفل منذ ولادته وتزويده بمقومات حب المعرفة ضرورة لا تقل أهمية عن إعداد الأم لتربية الطفل جسمياً ووجدانياً وأخلاقياً دون وضع قضية المعرفة في هذا الإعتبار." (الزهيري، 1993: 589)

فلقد أكد معظم المبحوثين من العاملين (33 من أصل46) على أن أغلب الأطفال الذين يأتون الى الداخلي تكون لديهم مشاكل سلوكية كثيرة، كالعنف والعناد والسرقة والتبول اللاإرادي والكذب

وغيرها، وذلك نتيجة للمشاكل الزوجية والإهمال وعدم الرعاية والمتابعة، ولجهل الوالدين بطرق العمل مع هذه السلوكيات مما يؤدي الى زيادتها وتفاقمها.

وذكرت إحدى الأمهات (39 عاماً، إعدادي، متزوجة ولديها ولدان و6 بنات، ربة بيت، بنتان في الداخلي): "بلش يسرق المصروف من أصحابه في المدرسة، ومرات لما يكون ماشي معاي بالسوق يسرق من كل محل شي، مثل تفاحة، شوكلاتة، ملبس. مرّة سرق من الجيران، لما أبوه عرف قطّعه من الضرب، حبسه بالخشة (غرفة صغيرة) بس على الفاضي. الولد زاد يسرق، ومش بس صار يكذب. بطلنا مسيطرين عليه، وسوالنا كثير مشاكل مع الناس، ومش عارفين شو نتصرف معاه، على شان هيك وديناه على الداخلي."

كما أكد العاملون أنه "كلما كان الأب أو الأم متعلماً أكثر ولديه ثقافة ومعرفة بالحياة، يساعده هذا على فهم وإدراك ما نقول وما نقوم به من عمل حول المشاكل السلوكية لأبنائهم، ويكون أكثر تعاوناً في تنفيذ الخطة الذي يكون هو شريكاً فيها، في حين أننا نجد صعوبات كبيرة مع الوالدين غير المتعلمين بالإستهتار بعملنا وطرقنا وعدم إيمانهم بها."

وذكرعامل آخر (37 عاماً، أخصائي إجتماعي، بكالوريوس خدمة إجتماعية، متزوج ولديه طفل، 6 سنوات عمل بالداخلي): "كثيراً ما نواجه صعوبة في عملنا عند إشراكنا الأب في الخطة الموضوعة لإبنه، حيث أنه كثيراً ما يعترض عليها، خصوصاً على طرق العقاب والثواب وإعطاء الطفل فرصة التعبير عن مشاعره وأحاسيسه، وطرق تفريغ الغضب بإستخدام أدوات التفريغ خاصة بالعلاج، أو العلاج من خلال ألعاب معينة، أو الطلب منه القيام بجولة أو رحلة مع طفله، فكثيراً ما يستهترون بذلك ويضحكون ولا يؤمنون بما نقول، مما يعطل تعديل أو تحسن السلوك لإبنه."

بناء على ما ورد ذكره نستنتج ما يلي:

لقد أكد معظم العاملين (36 من أصل46)على أهمية تعليم العامل وتطوره في هذا المجال الإجتماعي، لما له من تأثير كبير على السلوك لدى الأطفال، حيث أن تعليم الموظف لسنوات أكثر يساعده على إحتلال مكانة عالية بين زملائه في العمل ويساعده على الإشتراك في بناء الخطط والبرامج السلوكية الملائمة لتعديل السلوك، وكذلك في القرارات التي تتخذها المؤسسة تجاه عملها العلاجي مع الأطفال. وذكر قسم من العاملين أنه من المهم، إلى جانب مستوى التعليم، أن يكون العامل "قد حضر ليعمل وليس حضر الى العمل"، فإذا جئنا لنعمل فهذا يعني أننا نعمل من قلبنا من أجل هؤلاء الأطفال، نقدّم كلَ ما لدينا من طاقات وقدرات ومهارات، وهذا هو ما يساعد في التأثير والتغيير، أما إذا جئنا الى العمل فهذا يعني أن ما يهمّنا هو قضاء ساعاتنا وأخذ راتبنا.

كما أعطى الكثير من الأهل دوراً كبيراً لسنوات التعليم للعامل، مع إقتران ذلك بالحب والعطف والحنان الحقيقي لدى ذلك المتعلم وإيمانه من القلب بمساعدة هؤلاء الأطفال.

أما من حيث مستوى تعليم الأهل فقد أكد كلا الطرفين من المبحوثين أن هناك علاقة طردية بين تعلم الأهل وبين تعديل سلوك أطفالهم، فكلما زاد مستوى تعليم الأهل زاد ذلك في تعديل سلوك أطفالهم، حيث ذكر المبحوثون أن أغلب الأطفال الموجودين في الداخلي هم لأهالي ذوي مستوى تعليمي بسيط أو أُميين، فالتعليم يساعدهم على إدراك إحتياجات أطفالهم وكيفية إشباعها، وكيفية التعامل مع مشاكلهم السلوكية، وهو يزيد من معرفتهم بطرق التربية السليمة.

المحور الخامس:

هل هناك علاقة بين المستوى الإقتصادي للوالدين والعاملين في المؤسسات الداخلية وبين تعديل سلوك الأطفال؟

إن العجز الإقتصادي يحرم الطفل من الإمكانيات والخدمات المقدمة من قبل المجتمع، ويؤدي إلى سوء التغذية وبالتالي ظهور بعض أمراض الضعف الجسماني، وإلى الشعور بالنقص نتيجة الإختلاط بمستويات مختلفة مما يؤدي الى إنسحاب الطفل وإنطوائه وحرمانه من فرص الإشتراك في أوجه النشاط المختلفة. ومن ناحية أخرى قد يؤدي الحرمان الى القسوة والسلوك العدواني، ومن هنا يمكن أن يلعب الإفتقار المادي دوراً خطيراً في حياة الأسرة، فقد يقودها إلى السلوك المنحرف وينعكس ذلك على سلوك الأطفال (شفيق، 1998).

تؤثر حالات الحرمان الإجتماعي والبيئي المختلفة، كالبطالة والفقر والمساكن الفقيرة وسوء التغذية، في الترابط الأسري، حيث تميل بعض الأسر الضعيفة إلى التفكك والإنحلال ويتعرض أطفالها في طفولتهم المبكرة إلى أخطار عدم إستمرارية الأمومة والإهمال العاطفي مما قد يتسبب في تعرضهم للإضطرابات السلوكية (فهيم، 1993).

إن معظم الأطفال الموجودين في المؤسسات الداخلية، كما ذكر المبحوثون، هم من أسر فقيرة وذات وضع إقتصادي سيء وتعاني من مشاكل أسرية مختلفة كالطلاق أو إدمان المخدرات أو الكحول وغير ذلك، حيث أكد كلٌ من الأهل والعاملين أن الوضع الاقتصادي السيئ للأهل يسهم بشكل كبير في خلق مشاكل سلوكية لدى الأطفال، حيث أن الوالدين في الأسر الفقيرة غالباً ما يكونون مشغولين بتوفير لقمة العيش، وغالباً ما يقوم بهذا الدور الأب، الأمر الذي يؤدي به إلى العمل لساعات طويلة فيعود إلى البيت متعباً ومثقلاً بالضغوطات المادية والنفسية، وهذا بدوره من شأنه أن يؤدي به إلى عدم الرعاية والرقابة الكافية لسلوك أطفاله أو توجيههم الوجهة

الصحيحة. وقد عبر أحد الآباء (40 عاماً، عامل متجول، وضع إقتصادي سيء، متزوج ولديه 6 أولاد وأربع بنات) عن ذلك بقوله: "من الشغلات إلي خلتني أدخّل أولادي الداخلي إنه معيش مصاري أصرف عليهم، لأني أنا ما تعلمت وبشتغل عامل... يوم بشتغل، وعشرة لأ، مش ملحق عليهم أكل، ومرتي مش مقدرة ظروفي. دائماً أنا واياها مشاكل، حتى الأولاد ضاعوا في الرجلين، لا أكل زي العالم، ولا تربية، ولا قادر أسيطر على أعمالهم أو تصرفاتهم. بالذات الأولاد الذكور، أغلبهم بالحارة، صاروا يسرقوا ويضربوا ويغلطوا، بطلت قادر عليهم. على شان هيك حطيتهم بالداخلي."

وقال أحد العاملين (أخصائي إجتماعي، 32 سنة، متزوج ولديه بنت، 5 سنوات عمل في مركز أجيال، متوسط الدخل): "لا شك أن الوضع الإقتصادي السيئ للأسرة يؤثر على سلوكيات أبنائها، بالذات سلوك العنف والسرقة وضعف الثقة بالذات والشعور بالخوف من المستقبل، والشعور بالأنانية وحب التملك نتيجة للحرمان الموجودين فيه، فأغلب الحالات الموجودة في المراكز من واقع إقتصادي سيء للغاية، إلى جانب المشكلات الإجتماعية والمشاكل الزوجية التي يعود قسم كبير منها للوضع الإقتصادي."

وأكد العاملون أن الوضع الإقتصادي المتوسط فما فوق للأهل يلعب دوراً كبيراً في مساعدتنا على تعديل سلوك الأطفال، فالوالدين ذوي الوضع الإقتصادي الجيد يأتون لزيارة أطفالهم والسؤال عنهم، في حين أن الأسر ذات الوضع الإقتصادي السيئ تكتفي برؤية طفلها مرة واحدة كل أسبوعين أثناء زيارته المقررة لهم في البيت، وهذا ينعكس على سلوك الأطفال أحياناً بالغيرة والعنف والغضب، حيث أن الأطفال كثيراً ما يتطلعون لبعضهم البعض، ويسأل الطفل نفسه "لماذا الأهل يأتون لزيارة الأطفال الآخرين وأنا لأ؟" وغالباً لا يفهم الأطفال والديهم حين يقولون لهم أنهم لم يأتوا لزيارتهم لأنهم لا يملكون أجرة مواصلات ولأنهم يعملون ليحسنوا وضعهم

الإقتصادي، فيشتاط الطفل غضباً، وتزداد غيرته من زملائه، ويزداد سلوكه العنيف تجاههم وتجاه الطاقم. وقد شاهدت أثناء تواجدي في المؤسسات الداخلية أنه عند حضور الأهل لزيارة أطفالهم يشعر الأطفال بالفخر والثقة ويقل سلوكهم العدواني، حيث يكتشفون أن هناك من يسأل عنهم ويزورهم، وأنهم ليسوا متروكين وحدهم، فيمنحهم ذلك دعماً معنوياً وثقة بالذات ويساعد في تحسين سلوكهم. وبما أن طاقم العاملين يطلع الأهل على سلوك طفلهم ووضعه الدراسي، فإن ذلك يدفع الأطفال إلى تحسين سلوكهم والميل إلى السلوكيات المرغوبة والإبتعاد عن التصرفات التي تغضب أهلهم منهم، خصوصاً وأن الأهل عند سماعهم عن السلوك الحسن لأطفالهم يبدؤون بالثناء عليهم ومكافأتهم مادياً أو معنوياً.

أما الطفل الذي لا يزوره أحد، ولا أحد يسأل عنه أو يدعمه أو يثني عليه، فإن الإهمال يجعله أكثر لامبالاة وأقل إهتماماً بتحسين سلوكه، فهو يفتقر إلى الدافع لتحسين سلوكه، فيبدأ بالغيرة والحقد على والديه وزملائه، ويشتاط غضباً ويزداد عنفاً، وأحياناً يرفض أن يقوم بواجباته المدرسية. وعبر أحد العاملين (مرشد إجتماعي، مسئول بيت، 38 عاماً، متزوج ولديه ولدان ، 10 سنوات عمل في مركز أجيال، و ضع إقتصادي متوسط) عن ذلك بقوله: "الولد الذي يزوره أبوه أو أمه أو أحد أقربائه، كثيراً ما ينعكس ذلك على سلوكه بالإيجاب، فهو يبدأ بتحسين سلوكه حتى ينال إعجاب وثناء والديه عند زيارتهم له بالمركز."

وذكرت إحدى العاملات (مرشدة إجتماعية، 42 عاماً، متزوجة ولديها ولد وبنتان، 12 سنة تعمل في دير سان فنسنت، وضع إقتصادي جيد جداً): "الأطفال يهتمون كثيراً بعمل المسلكيات التي ترضي والديهم ويبتعدون عما لا يرضيهم، لأنهم يعتبرون أن والديهم يزورونهم لأنهم في كل مرة يسمعون عنهم أموراً جيدة وتقدماً في السلوك، فهم لا يريدون أن يخسروا تلك الزيارة."

وقال آخر (أخصائي إجتماعي، 33 عاماً، 8 سنوات في هوستل الغد، متزوج، وضع إقتصادي متوسط): "كثيراً ما تساعدنا زيارة الأهل في تعديل سلوك الأطفال، حيث أن الطفل يسمع ويستجيب لأوامر والديه كثيراً حتى ولو كانوا سبباً في دخوله المركز، فنلاحظ أنه عند طلب الأهل منه بالإقلاع عن سلوك غير مقبول كثيراً ما يقوم بعمل ذلك، طبعاً مع مساعدتنا وتذكيرنا بما طلبه منه الأهل، وأن عليه أن يُسمِعهم أخباراً تسرهم في الزيارة القادمة."

وقالت عاملة أخرى (مرشدة إجتماعية، 48 عاماً، أم البيت، متزوجة ولديها 3 بنات وولدان، 13 سنة تعمل في دير سان فنسنت، وضع إقتصادي متوسط): "كثيراً ما نلاحظ على الأطفال الذين شاهدوا أطفالاً آخرين يزورهم أهلهم، وأهلهم لم يزورهم ويكتفوا بمشاهدتهم عند الترويحة المعتادة، أن سلوكهم يزداد سوءاً بالذات بالغيرة من الآخرين، بالعنف تجاه زملائهم أو بسرقة شيء عزيز عليهم قدمه لهم أهلهم."

وقال أخصائي نفسي (35 عاماً، متزوج ولديه بنت، 4 سنوات يعمل في مركز أجيال، وضع إقتصادي جيد جداً): "في حالة عدم زيارة الأهل للأبناء كثيراً ما يلاحظ أن الطفل يعمل السلوك غير المرغوب، ويتحدى المرشدين ويرفض الإقلاع عنه، بل ويصر عليه حتى يضايق المجموعة ويضايق زملائه، إنتقاماً من أهله لعدم زيارتهم له ولدفعهم لزيارته حتى لو جاءوا من أجل مشكلة عملها، فهنا يشعر أنهم سألوا عنه."

كما ذكر كثير من الأهل أنهم يلاحظون تقدماً في سلوك إبنهم في حالة زيارتهم له والسؤال عنه، لأنه يشعر أنه مهم بالنسبة لهم وأنهم لم يتخلوا عنه. فإحدى الأمهات (38 عاماً، ربة بيت، تعليم إبتدائي، وضع إقتصادي سيء، 5 أولاد وثلاث بنات) قالت: "الصراحة أنا ما كنت أزور إبني بالمركز، لأني بدي أجار مواصلات... مواصلتين، روحة ورجعة. وأنا بقول والله إخوته إللي في الدار أبدى منه، بشتري لهم فيه خبز وأكل، على الأقل هو أنا مطمئنة عليه، إنُّ بوكل وبشرب

وبلبس من الداخلي، ولكن لما شرح لي العامل الإجتماعي والمرشدين عن إبني، كيف بكون سلوكه لما ما بزوره، سيء كثير كثير وبعمل مشاكل وبزيد عنفه، صرت آجي أزوره وأشترك في المجموعات عشانه، لأنه بحب شوفتي، وأنا شفت كيف تصرفاته تغيرت للأحسن."

كما أن عدداً كبيراً من الأسر الفقيرة لا تصل إلى المجموعات العلاجية الإرشادية حول سلوك أطفالها وإحتياجاتهم، وذلك لأن الأهل يعملون من أجل تحسين وضعهم الإقتصادي ولا يستطيعون الغياب عن عملهم، وكذلك يتحجج البعض منهم بأنه ليس لديه أجرة المواصلات، وبالأخص البعيدين منهم عن المؤسسات الداخلية، وأنهم يحاولون توفيرها لأطفالهم الآخرين الموجودين في البيت. وعدم حضور الأهل لهذه المجموعات يمنعهم من الإستفادة من طرق الإرشاد الحديثة وطرق التربية والتعامل مع المشكلات السلوكية لدى أطفالهم، ففي هذه المجموعات يقدم الأخصائيون الإجتماعيون والنفسيون الإرشاد حول مسلكيات الأطفال ودور الأهل في الخطة الموضوعة من قبل المركز، ويعطونهم مهاماً يقومون بها أثناء فترة ترويحة الطفل، وبالأخص في العطل الطويلة مثل العطل المدرسية التي يسمح المركز فيها للطفل بقضاء نصفها لدى الأهل، وكذلك عطلة المركز السنوية لشهر واحد (في آب)، فالأهل الذين لا يأخذون النصح والإرشاد نلاحظ على أطفالهم عند رجوعهم إلى المركز تراجعاً في السلوك مما يستدعي العمل من جديد ولفترة طويلة على تحسين سلوكهم، في حين أننا نلاحظ أن الأسر التي تستفيد من النصح تكون داعمة ومشجعة ومحافظة على سلوكيات أطفالها الحسنة الأمر الذي يعكس نفسه في تقدم سلوكهم نحو الأفضل. كما أن الأهل ذوي الوضع الإقتصادي الجيد كثيراً ما يُحضرون ألعاباً أو هدايا لطفلهم مكافأةً له على سلوكه الحسن، وغالباً ما يستجيبون لطلب المرشد عند ترويحة طفلهم مرة كل أسبوعين بأخذه مشواراً أو رحلة، أو تحضير طبخة خاصة، لإشعاره بأنهم يعملون شيئاً خاصاً من أجله، الأمر الذي ينعكس ايجابياً على نفسية الطفل

وبالتالي على سلوكه، في حين أن الأسر ذات الوضع الإقتصادي السيئ لا تتمكن من مثل هذه الأمور، الأمر الذي ينعكس سلباً على سلوك الطفل، خصوصاً إذا سمع من زملائه أن أهلهم أحضروا لهم شيئاً أو أخذوهم في رحلة.

"الفقر يعتبر أحد العوامل الهامة في تأثيره على الأسرة كلها، بما فيها الطفل، فهو يؤدي إلى الشعور بالخوف من المستقبل وعدم إشباع الرغبات من شراء بعض الأشياء مثل أدوات اللعب والملابس الجديدة والهدايا التي ترفع من معنويات الأطفال وتشعرهم بالسعادة وتؤثر على نفسيتهم وبالتالي على مسلكياتهم وبشكل ايجابي." (إبراهيم، 1983: 14). ولقد لاحظت أثناء عملي في المؤسسات أن الأطفال الذين يُحضر لهم أهلهم هدية أو لعبة غالباً ما يؤثر ذلك ايجابياً على نفسيتهم وبالتالي على تصرفاتهم، فيحتفظون بهذه الهدية و يعتبرونها غالية جداً عليهم. والطفل الذي يخرج مع أهله بجولة أو رحلة، غالباً ما يعود إلى المركز ويباهي زملاءه وطاقم العاملين بذلك. وبهذا الخصوص قال أحد الآباء (43 عاماً، عامل متجول، متزوج ولديه ولدان و4 بنات، وضع إقتصادي متوسط): "أنا بعرف إني مقصر مع إبني. هو بعمل مشاكل على شان أنا ما بجيب له هدايا، وما بروح معاه مشاوير، هو بحبها كثير. بس هو مش فاهم قديش أنا بحاجة لهالقرش على شان أجيب فيه أكل لإخوته إللي في الدار. بس هو ما بلتام لما بعصب وبخبط وبكسر، لأنه بشوف أصحابه وأهلهم بجيبوا لهم وبوخذوهم مرات مشاوير وهو ما حدا بوخذه."

وقال أحد العاملين(39 عاماً، مرشد إجتماعي، 9 سنوات عمل بالداخلي بمركز أجيال، متزوج ولديه 4 بنات، وضع إقتصادي جيد جداً): "الأولاد ينظرون للعبة التي من أهلهم بطريقة مختلفة عن ألعاب المركز، فألعاب المركز لا تؤثر عليهم كثيراً لو إنكسرت أو خربت، أما اللعبة التي أحضرها والديه فهي بالنسبة له غالية وثمينة، يعمل مشكلة لو أحد كسرها أو أحدث بها ضرراً،

وكذلك رغم أن المركز يأخذهم رحلاً كثيرة إلا أن رحلتهم أو مشوارهم مع أهلهم ولو كان بسيطاً فإنهم يفاخرون به ويعتزون، وكل ذلك ينعكس على سلوكهم ايجابياً."

كما أكد الكثير من الأهالي أنه لو كان وضعهم الإقتصادي جيداً لما إضطروا لوضع أطفالهم في الداخلي وإبعادهم عنهم، فحسب رأيهم أن الوضع الإقتصادي هو الذي سبب الخلافات بينهم وهو الذي أشغلهم عن أبنائهم وأغفلهم عن سلوكهم سعياً وراء المال من أجل العيش، فوضعهم الإقتصادي السيئ هو الذي حرم أطفالهم من الغذاء واللباس والترفيه، وأدى إلى شعورهم بالخوف وعدم الأمان بالحياة والمستقبل، وقلة الثقة بالذات.

فالمستوى الإقتصادي للأسرة يؤثر في تربية الأبناء وفي توفير الإحتياجات الضرورية، حيث أن كثيراً من الأطفال المنحرفين لم تُشبع رغبتهم في التملك، "ويحرم الفقر الأسرة من الأمن والطمأنينة بالإضافة إلى الحرمان من توفير المطالب الأساسية، ويخل بإتزان الأسرة النفسي ويؤثر على مستوى الطموح لدى الأبناء، ويؤدي ذلك بالوالدين لمضاعفة ساعات العمل ويحرم الطفل من إمكانية التربية السليمة نظراً لعدم قضائه الوقت الكافي مع والديه، وقد تتعرض الأسرة لمشاكل صحية وزيادة مستوى الكبت وقد يتعرضون للإنحراف." (محمد، 1983: 244)

"فالمستوى المادي المرتفع يساعد على توفير الغذاء الصحي المناسب لنمو الأطفال، والذي يُحدث حصانة للأطفال من الوقوع كفريسة للأمراض، وتوفير العلاج المناسب في حالة الإصابة بأحد الأمراض وتوفير الألعاب التعليمية التي تؤدي إلى تنشيط تفكير الطفل وحفز قدراته العقلية، وتوفير مقر الأسرة في بيئة صالحة من ناحية توافر المؤسسات التعليمية و الدينية والطبية والرياضية بها، مما يساعد الطفل على النمو المتكامل السوي. كما تلعب الإمكانات المادية للأسرة دوراً هاماً في تشكيل شخصية الطفل وفي إحساسه بثقته بنفسه وفي علاقاته مع الآخرين، فيرتبط الإقتصاد إرتباطاً وثيقاً بثقافة الأسرة ومستوى تحضرها وفهمها الإجتماعي حيث يؤدي فقر

الأسرة إلى حجب وسائل إعلام الثقافة ولا يتسنى لها القيام بالرحلات والجولات ومشاهدة معالم البلاد الأخرى." (أسعد، 1979: 117)

ولقد أوضحت دراسة جورج (1993) التي أجريت بغرض توضيح الأثر المحتمل لحجم الأسرة ومستواها الإجتماعي والإقتصادي على معدل السلوك التوافقي للطفل، بأن الأسرة الصغيرة العدد تأتي في الصدارة بشان أنواع السلوكيات الايجابية الطيبة، كما أن المستوى الإجتماعي والإقتصادي للأسرة يؤثر في تشكيل وصياغة أنواع متعددة من السلوكيات.

فالوضع الإقتصادي السيئ للأسرة يحرمها من التعليم، ومن الترفيه، ومن الغذاء، ومن العيش في مسكن ملائم، فأغلب أسر الأطفال، كما ذكر العاملون، يعيشون في بيئة مكتظة في مسكن غير ملائم لعدد أفراد الأسرة، فتزداد مشاكل الأطفال مع بعضهم ولا تتوفر أية خصوصية لأي منهم، مما يدفع بعدد منهم إلى ترك التعليم والعمل لمساعدة الأهل، أو إلى سلك طريق غير سوي، كالسرقة والكذب والغش و الخداع، وكثيراً ما يكتشف الوالدان سلوكيات إنحرافية لدى أبنائهم، إلا أنهم لا يقوون على توجيهها إما لجهلهم أو لإنشغالهم أو لفقرهم الذي يحرمهم حتى من أخذ إستشارة من مختص.

وصفت إحدى الأمهات (45 عاماً، إبتدائي، متزوجة ولديها 7 أولاد و 4 بنات، عاملة نظافة، وضع إقتصادي متدني جداً) وضعها بهذه العبارات: "كنت عايشة عند أهلي بجنة، بس تزوجت واجيت على البلدة القديمة ذقت الويل. عندنا غرفتين صغار، ثلاثة في ثلاثة (3م مربع) مع مطبخ مترين في مترين وحمام. و أحنا عددنا معاي ومع زوجي 13 نفر بالبيت، بناموا الأولاد فوق بعضهم في الغرفة وفي المطبخ، والصغار معاي ومع زوجي. حطيت ولدين منهم بالداخلي لأنهم شرَدوا (هربوا) على الحارة. مرات كانوا يناموا ما بعرف وين. هذا غير على إنه أبوهم ما بشتغل، داير على القهاوي، وأنا بنظف بيوت العالم. على شان هيك كل أولادي تعقدوا وصارت

تصرفاتهم زي النّوَر، سرقة وبسرقوا، ضرب وبضربوا، وغلط بغلطوا، ووقاحة بواقحوا، وعناد بعاندوا... شو بدك كمان بسَووا."

"ظروف السكن وطبيعته من المؤشرات الأساسية على سلوك الحدث بما في ذلك موقع السكن وطبيعته والضيق والنظافة، فإذا كان السكن رطباً مزدحماً وقذراً فإنه لا يشبع حاجة الحدث للجلوس والحركة واللعب مما يدفعه ليترك البيت واللعب خارج المنزل وبذلك يصبح السكن بالنسبة له مدعاة للكراهية والبغض وربما يقوم الآباء بدفع الصغار إلى الشوارع لكي يتهيأ لهم قليل من الراحة، ومن الطبيعي أن تواجد الصغار في الشارع يدفعهم إلى إرتكاب المخالفات وممارسة الأنماط السلوكية المضادة لقواعد الهيئة الإجتماعية بسبب إنعدام الرقابة الأسرية، كما أن موقع السكن المكتظ يلعب دوراً حيوياً في إنحراف الأحداث وتشردهم، فالحي المزدحم بالحركة التجارية ووجود الملاهي والمقاهي مثل أحياء البلدة القديمة بالقدس فمن شأنه أن يؤثر على شخصية الطفل وتكوينها خاصة إذا كان الطفل من النوع الذي يميل إلى المحاكاة والتقليد، كما أن الأحياء التي تضم مجموعات سكنية متردية تؤثر تأثيراً مباشراً على سلوك الحدث الذي يعيش فيها، ففي هذا النوع من الأحياء تتواجد أحياناً فئات من المشردين والهاربين المجرمين مما يجعل الحدث يكتسب بعض ملامح السلوك المتجسد أمامه لهذا تعتبر الأحياء المتخلفة إجتماعياً أوكاراً لتفريغ الإنحراف بمختلف أنواعه وربما تكون تلك الأحياء سبباً غير مباشراً للإنحراف والتشرد، فشعور بعض الأفراد بسوء موقفهم الإجتماعي ربما يدفعهم إلى إرتكاب بعض الممارسات المخالفة لقواعد الضبط الإجتماعي لتحقيق نقلة غير مشروعة إجتماعياً وإقتصادياً وفي ذلك تهديم لأركان العائلة." (محمد، 1983: 243)

أما فيما يتعلق بالمستوى الإقتصادي للعاملين وتأثيره على السلوك، فقد ذكر كثير من العاملين(33من أصل46) أن ذلك لا دخل له بسلوك الأطفال، فعندما يأتي العامل إلى الوظيفة

فإنه يقوم بدوره كالمعتاد، فهناك ضوابط وقوانين ولوائح يلتزم بها العامل، سواء الفقير أو الغني، وهناك رقابة في العمل، وهناك خطط تتعلق بسلوك الأطفال تطبق على الغني والفقير من الموظفين: "غني الموظف والا فقير، في العمل في ضوابط ولوائح ورقابة بتلزم الجميع بتأدية عمله كما ينبغي تجاه الأطفال، وكما هو مطلوب." (عاملة إجتماعية، 28 عاماً، 4 سنوات تعمل في هوستل – جبل المكبر، وضع إقتصادي جيد جداً).

ولكن ذكر بعض الموظفون أن الموظف الغني يكون "باله مرتاح" أكثر وغير قلق على وضعه المادي، وبالتالي يكون عطاؤه للأطفال أكثر، في حين أن ما يهم الموظف ذا الوضع الإقتصادي المنخفض هو جمع النقود والحصول على الراتب، فيكون موزعاً بين أكثر من عمل، الأمر الذي يقلل من طاقته وجهده ويجعله أقل تأثيراً وإهتماماً بسلوكيات الأطفال: "الموظف إللي وضعه الإقتصادي سيء بشتغل في أكثر من شغلة، ويأتي للعمل من أجل الحصول على الراتب أكثر من إهتمامه بوضع خطط وتحسين مسلكيات الأطفال." (مرشد إجتماعي، 32 عاماً، 5 سنوات عمل في هوستل الغد، وضع إقتصادي متوسط) ومن ناحية أخرى ذكر بعض الموظفين أن الموظف الفقير أو ذا الدخل المتوسط كثيراً ما يساعد في تحسين سلوك أطفال المؤسسة، لأنه أقرب إلى واقع هؤلاء الأطفال وأكثر شعوراً بهم مقارنة بالموظف الذي تربى في أسرة غنية ولا يعرف طعم الفقر فلا يحس كثيراً بهؤلاء الأطفال ويكون أقل تأثيراً في سلوكهم.

ويكاد يجمع الموظفون على أن المهم هو أن يكون الموظف مرتاحاً في عمله يأخذ راتباً جيداً ولا تمارس عليه ضغوطات نفسية من الإدارة وغير مهدد بالفصل من عمله، فهذا يؤثر إيجاباً على عطائه للأطفال، مما يؤثر في سلوكهم إيجابياً. في حين أكد الكثير من الأهل(31 من أصل 45) أن الموظف ذا الوضع المتوسط هو الذي يكون تأثيره في تعديل سلوك الأطفال أكبر، ذلك لأن الغني قد لا يحس بمشاكل أطفالهم لكونه لم يمر بها نهائياً، وقد يكون متكبراً في تعامله مع

أطفالهم ومعهم، أما الفقير من الموظفين فقد يحس بمشاكلهم ويحاول مساعدتهم ولكنه يكون أحياناً قد حرم مثلهم: "العامل الغني بكون مش شايف قدامه، مش حاسس لا فينا ولا في أولادنا" (مطلقة، إبتدائي، 26 عاماً، لا تعمل، لديها 3 أولاد في الداخلي، وضع إقتصادي سيء). وقالت أخرى (منفصلة، 33 سنة، لديها 3 بنات و 4 أولاد، 3 أولاد في الداخلي، إعدادي، لا تعمل، وضع إقتصادي متوسط): "الفقير بظل فقير، مسكين ببقى مقطع حاله من شغلة لشغلة، بحس فينا أكثر من الغني. بس في مثل بقول: فاقد الشيء لا يعطيه. فهو مرات بقول ما همي مثل همهم، أنا كنت مثلهم وساعدت حالي، ليش همه ما يساعدوا حالهم مثلي؟"

في حين أن جزءاً منهم(16 من أصل 45) قال أن هذا كله لا يؤثر، فالمهم أن يكون لدى الموظف خبرة في العمل ومهارات ووسائل تساعده في تعديل سلوكيات الأطفال، وإلى جانب ذلك أن يكون ضميره صاحياً، فمن لديه ضمير حي "يشفق ويحن ويعطي من القلب تجاه الأطفال، لأنه يريد أن يأخذ راتباً حلالاً قد إستحقه"، أما إذا غاب الضمير فالموظف يعمل فقط من أجل ساعاته وراتبه وليس مهماً بالنسبة له إن تحسن الطفل أم لم يتحسن. وكما قالت إحدى الأمهات (48 عاماً، أرملة، خياطة، إعدادي، لديها 4 بنات وولدان، بنت وولدان في الداخلي، وضع إقتصادي سيء): "فقير والا غني، هاي ما بتفرق، المهم يعرف كيف يغير تصرفاتهم ويحلها." وقالت أم أخرى (43 عاماً، متزوجة، لديها 7 بنات وولدان، إعدادي، ولدان في الداخلي، وضع إقتصادي سيء): "هو إحنا بدنا نناسبه؟ ما يهم فقير والا غني، المهم يبقى يعرف في الشغل ويبقى في عنده طرق على شان يساعدهم للأولاد، يعرف كيف يوجههم للصح." وذكر أحد الآباء (40 عاماً، عامل في مغسلة سيارات، مطلق، أول ثانوي، لديه ولدان وبنت في الداخلي، وضع إقتصادي متوسط): "الأهم من الغني والفقير، الضمير. إللي عنده ضمير بعطي من قلبه للأولاد،

بتحسنوا وبتحسن سلوكهم. وإذا ما عنده ضمير، الله يكون بعون الأولاد لأنه ما بتفرق معاه، بسوي ساعته وبيجي مروّح، مش من قلبه بعطي."

خلاصة القول؛ حسب وجهة نظر العاملين والأهل، هناك تأثير كبير وعلاقة قوية بين المستوى الإقتصادي للأهل وبين سلوك أطفالهم، فكلما كان وضعهم الإقتصادي جيد كلما كان هناك تأثير أقوى في تعديل سلوك أطفالهم. فقد ذكر الأهالي أن أحد العوامل التي دفعتهم لوضع أطفالهم في المؤسسات هو الوضع الإقتصادي السيء، والذي بسببه إنشغل الأهل في البحث عن العمل ولساعات طويلة لتوفير لقمة العيش، إضافة إلى مشاكلهم الزوجية وإنعدام الرقابة على الأطفال. وذكر الأهل والعاملون أنه إذا كان وضع الأهل الإقتصادي جيداً فإن ذلك يُمكنهم من الحضور لزيارة طفلهم بشكل منتظم، وحضور لقاءات المجموعات العلاجية التوجيهية التي يحصلون خلالها على الإرشاد حول مواضيع تتعلق بأطفالهم، إضافة إلى أن حضور الأهل إلى المركز يساعد في تحسين سلوك طفلهم، لأن ذلك يكون حافزاً له كي يثني عليه أهله ويكافئونه مادياً أو معنوياً إضافة إلى أن الطفل يشعر بأنه ليس متروكاً وليس وحيداً، كما أنه يُمّكن الأهل في حالة ترويحة الطفل في الأيام المتعارف عليها من أخذه أو رحلة أو عمل وجبة طعام خاصة به، وكل ذلك ينعكس إيجاباً على سلوكه.

أما فيما يتعلق بالمستوى الإقتصادي للعاملين ومدى تأثيره على سلوك الأطفال، فقد إنقسمت وجهة نظر العاملين أنفسهم إلى ثلاثة آراء: أولها (وهي الفئة الكبرى)، أنه لا علاقة بين المستوى الإقتصادي للعاملين وسلوك الأطفال، لأن هناك إدارة وقوانين ولوائح وضوابط ورقابة، وهناك خطط تطبق على الغني والفقير من العاملين. والرأي الثاني أن العامل الغني يكون "باله مرتاح" وعمله مستقر، وبالتالي تكون طاقته أكبر للتأثير على سلوك الأطفال، أما الموظف ذي الوضع

الإقتصادي الأقل من المتوسط فإنه يتنقل من وظيفة إلى أخرى ومن مكان على آخر، فتقل طاقته وينحصر إهتمامه في الحصول على الراتب، وبالتالي يقل تأثيره على السلوك. أما الرأي الثالث فمفاده أن العامل ذا الوضع الإقتصادي الأقل من المتوسط يكون أقرب إلى واقع هؤلاء الأطفال وذويهم وأقدر على أن يحس بهم ويساعدهم ويبذل جهده في التأثير على سلوكهم، في حين أن الموظف الغني الذي لم يذق طعم الفقر يكون أقل إحساساً بهم وأقل تأثيراً على سلوكهم.

أما من وجهة نظر الأهل، فقد ذكر معظمهم(31 من أصل 45) أن العامل ذا الوضع الإقتصادي المتوسط هو الذي يحس بهم ويؤثر في سلوك أطفالهم، لأن الغني قد لا يحس بمشاكل الأطفال بحكم كونه لم يمر بتجاربهم، وقد يكون متكبراً في تعامله مع الأطفال، أما العامل الفقير فقد يحس بهم ويحاول مساعدتهم ولكن "فاقد الشيء لا يعطيه" حسب قولهم. إلا أن بعض الأهالي قالوا أن الوضع الإقتصادي للعامل ليس له علاقة، والأهم أن يكون لديه خبرة ومهارات في التعامل مع مشاكل الأطفال السلوكية، والأهم من ذلك كله أن يكون ذا ضمير حي ومخلصاً في العمل.

المحور السادس:

هل هناك علاقة بين درجة تدين الوالدين والعاملين في المؤسسات الداخلية وبين تعديل سلوك الأطفال؟

"معظم الناس على دراية تامة بما للدين من تأثير فعال على سلوك أفراد مجتمعنا وتكوين أفكارهم وأسلوبهم في الحياة، وتعاملاتهم في دقائق الأمور العملية اليومية، فمعظم ما يصدر عنا من تصرفات، إنما هو نتاج يتدخل في معظمه عامل التشبع بالدين، فهو شريعة تملأ الحياة في عباداته ومعاملاته وأحواله الشخصية." (الشرازي، 1992: 60)

"فالدين هو الذي نظم سلوك الزوجين داخل الأسرة الواحدة على مستوى التربية والتعامل وإكتساب القيم، وإقامة العلاقات والروابط داخل الأسرة، والعلاقات بين المقربين، إذن [خطأ في الأصل] فالعائلة عش لا للجهات الجسدية للأولاد، بل للجهات النفسية أيضاً، فإنهم يتعلمون من الأبوين ويتربون بأخلاقهما وسلوكهما، ولذا كان عليهما تحسين السلوك حتى لا يخرج الأولاد منحرفين. فالدين على ضوء ذلك هو القاسم المشترك للسلوك إزاء مواقف الحياة المختلفة في التربية، وإقامة الروابط والعلاقات داخل الفرد نفسه، وبينه وبين شريك حياته، وبينه وبين أولاده، حتى تمتد العلاقات والروابط نحو الجيران والآخرين من الناس في المجتمع، لذا فإن أسس تكوين الروابط اللاشعورية المعتمدة على الدين المستمدة منه مقومات بقاؤها تبدأ من داخل الأسرة الصغيرة (الأب والأم) فأي إختلال في تنظيم العلاقات والروابط داخل الجهاز الأسري يسهم في إحداث الإضطرابات والمشكلات الإجتماعية والسلوكية لاحقاً، فالأسر تمتلك فعلاً قوياً، وأسلوباً خاصاً بها، يحدد طبيعة إتصال أفرادها وكيفية التعامل مع بعضهم البعض، أو مع الآخرين خارج نطاق الأسرة." (الشرازي، 1992: 39)

يعتقد الكثير من العاملين أن الطفل يكون متأثراً بتنشئة الأهل وتربيتهم له وتأثيرهم في سلوكه، وعلى الأغلب في السنوات الأولى من حياته، وخصوصاً وهو يعيش في أكناف أسرته حيث يتشبع بقيمها وعاداتها وأطباعها، فيكون تأثيرها أكثر بكثير مما بعد خروجه أو تركه العيش معها لظرف أو لآخر: "فمن المتفق عليه أن الإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يتأثر ويؤثر إجتماعياً، يتأثر بأهله، بمجتمعه، بتاريخه، بكل ما يحيط به ليؤثر تالياً في بناء شخصية أبنائه، ومن ثم في سلوكهم وفي حياتهم، فيرسم لهم الأطر التي ضمنها يتحركون، لذلك يعيش المرء حاضره إنعكاساً لبعض ماضيه، فينظر إلى مستقبله إنطلاقاً من حياة معاشة مليئة بما يفرح وبما يحزن، وبما ينشط وبما يحمل، فحيال هذا يمتثل ويتوحد، ويقلد ويحاكي، ويثور ويعاني، على وفق نمط شخصيته التي تربى عليها والتي تلقاها من أسرته ومدى تأثيرها عليه، فهل شّكل الأساس المتين فيها، أم أنها تربية عامة أو أنها شمولية تأثرت بالدين وبأساليب أخرى؟" (أبو النيل، 1985: 72)

ويأتي بعد الأسرة دور المجتمع بما فيه من مؤسسات مختلفة في صقل الشخصية والتأثير في سلوكها، ويقل تأثير الأسرة، فالأطفال الذين خرجوا إلى المؤسسة نتيجة لظرف أو آخر فإن من يتولى تنشئتهم ومن يؤثر في سلوكهم هم الأشخاص الذين يعيشون معهم يومياً، سواء من الأطفال الآخرين الموجودين في المؤسسة أو من العاملين أنفسهم، حيث ذكر المبحوثون أن تأثير هؤلاء يكون أكثر بكثير من الوالدين، وذلك لأن الوقت الذي تقضيه الأسرة مع طفلها أصبح قليلاً جداً عند زيارتها له في المركز مرة في الشهر مثلاً، وهناك أسر لا تقوم بالزيارة نهائياً أو تقوم بها على فترات متباعدة جداً، وسواء كانت الأسرة متدينة جداً أم متوسطة التدين أم غير متدينة فإن تأثيرها في تعديل سلوك أطفالها يكون أقل. وعلى الرغم من ذلك يكون هناك تأثير التدين في السلوك متبايناً، وكما ذكر العاملون فإن الأسر المتزمتة جداً غالباً ما لا تؤمن بالبرامج

المستخدمة التي تقوم على أسس علم النفس والعلوم الإجتماعية في التعامل مع سلوك الأطفال، بل تؤمن أن كل تعامل يجب أن يكون من خلال الدين، خصوصاً وأن جزءاً منهم يكون غير راض تماماً عن المرشدين الذين يتولون تربية أبنائهم نظراً لما لدى هؤلاء المرشدين من أفكار منفتحة، الأمر الذي غالباً ما يؤثر على سلوك الأطفال بسبب التناقض في التربية وعدم رضا الأهل عن النموذج المطروح على الطفل، مما يؤدي إلى عدم تعاون الأهل مع المرشدين لعدم رضاهم عنهم، خصوصاً وأن تلك العائلات عند حضورها لزيارة طفلها في المركز كثيراً ما تتطرق إلى موضوع الدين وتحث طفلها على الإلتزام به، سواء في اللبس أو في السلوك أو في الصلاة، وتطلب منه عدم مشاهدة محطات الأغاني والرقص على سبيل المثال، مما يؤدي أحياناً إلى نفور الطفل منهم وعمل عكس ما يطلبونه منه.

أما العائلات غير المتدينة وغير المحافظة، والتي يتناول بعض أفرادها المخدرات أو الكحول، فيكون تأثيرها سلبياً في سلوك الأطفال، من حيث أنهم يشكلون قدوة غير حسنة لأطفالهم، ويكونون منشغلين بأنفسهم وغير مهتمين بتحسن سلوك أطفالهم، فهم غير مكترثين لما يفعله أطفالهم وإنما يعتمدون في الأساس على مرشدي المؤسسة في تربية أطفالهم. وقد ذكر أغلب العاملين (35 من أصل 46 مبحوثاً) أن النموذج الأفضل والأكثر تأثيراً في سلوك الطفل هي الأسر متوسطة التدين، والتي هي أقرب إلى نموذج مرشدي المؤسسة الذين يكونون بحكم وظيفتهم وسطاً في تعاملهم مع الأطفال، غير متزمتين في الدين وغير متطرفين في الإنحراف عنه، مما يساعد في قبولهم للآخر متديناً كان أم غير متدين: "خير الأمور الوسط، بالذات في الدين، لأننا في المؤسسات نتغلب (نواجه الصعوبات) مع العائلات المتدينة كثيراً في عدم رضاها أحياناً أو عدم قبولها لتفسيرات السلوك، وأنهم يريدون منا أن نحث أطفالهم طوال الوقت على الصلاة والدين." (مرشد، 39 عاماً، 8 سنوات يعمل في الداخلي، متوسط التدين، متزوج

ولديه 3 أبناء) وأضافت إحدى العاملات (مديرة الهوستل، 36 عاماً، 8 سنوات تعمل في الداخلي، متدينة قليلاً): "العائلة متوسطة التدين تأثيرها أقوى في سلوك الأطفال، لأنها أقرب إلى منهجنا وعملنا وطرقنا في التعامل مع الأطفال، تعامل فيه حدود وقوانين، ليس بالمتزمت وليس بالمنحل من الدين والضمير."

ويعتقد عدد ضئيل من العاملين أن تأثير الأسر على تعديل سلوك الأطفال قليل جداً بغض النظر عن درجة تدينها، لأن إحتكاك الأسر بالأطفال قليل جداً وينحصر في زيارة الأهل للطفل التي غالباً ما تكون مرة واحدة في الشهر، وفي "ترويحة" الطفل مرة كل أسبوعين، فالدور الأكبر يكون للمرشدين، فهم النموذج الذي يحتذى به، وهم الذين يعيشون مع الأطفال يومياً فيؤثرون فيهم ويتأثرون بهم: "أهل متدينين أم غير متدينين، هذا لا يؤثر بسلوكه كثيراً لأن الولد عندنا مش عندهم، فإحنا الذين نؤثر فيه أكثر من أهله." (مرشد، أب بيت، 37 عاماً، تدين وسط، متزوج ولديه 4 أطفال). كما وأرجع بعضهم تأثير الأسرة على الطفل إلى مدى زيارة الأهل لطفلهم، ومدى تفرغ الأسرة له، ومدى حدة المشاكل الزوجية بين الوالدين، فإذا كانت العائلة لا تأتي لزيارة طفلها ولا تسأل عنه ولا عن سلوكه، وليس لديها وقت لطفلها لأنها مشغولة بمشاكلها وصراعاتها الزوجية، فما الفائدة إن كانت متدينة أم غير متدينة؟: "شو بهم إذا العائلة متدينة أم لا؟ المهم يسألوا عن أولادهم أول، لأنّ إذا ما حضروا و ما اهتموا وما سألوا عن سلوك إبنهم، كيف بدهم يأثروا فيه؟" (مرشد، 36 عاماً، متزوج ولديه طفلان ، متدين قليلاً، 10 سنوات عمل في داخلي). وأضافت إحدى العاملات (49 عاماً، 20 سنة تعمل في دير سان فنسنت، متدينة قليلاً، متزوجة ولديها 6 أطفال): "بالأول يحلوا مشاكلهم هُم، ويحسنوا سلوكهم، وبعدين يحسنوا سلوك أبنائهم، فشو بهم إذا كانوا متدينين والا مش متدينين؟ على الفاضي." ووضحت عاملة أخرى (أم بيت، 42 عاماً، 12 سنة تعمل في الداخلي، متزوجة ولديها 4 أبناء، تدين وسط):

"الأهل بأثروا وبساعدوا في التأثير على سلوك أبنائهم للأحسن لما يكونوا متفاهمين، لما يكونوا متذكرين بإستمرار أن عندهم ولد في الداخلي، مش لما إم نحكي معاهم عن سلوك إبنهم بحسسونا كأنه عبء عليهم، فكيف هؤلاء بدهم يأثروا على سلوك أبنائهم؟"

أما فيما يخص تأثير مستوى تدين العاملين على تعديل سلوك أطفال المؤسسة، فقد ذكر أغلب العاملين (34 من أصل 46) أن ذلك يعود يرتبط بعدة عوامل:

العامل الأول: طبيعة المؤسسة والجهة المسؤولة عنها، فجميع المؤسسات التي شملتها هذه الدراسة هي مؤسسات حكومية تتبع لوزارة الرفاه والعمل الإجتماعي الإسرائيلية، والتي لا تولي إهتماماً للدين وإنما همها الأول هو القيام بالعمل وفق الشروط والمتطلبات الموضوعة، حيث تلْزَم هذه المؤسسات بقوانين وضوابط ولوائح يتم العمل وفقها ومن خلالها، سواء كان العامل متدين أم غير متدين، فالمرشدون يعملون حسب نظام معين وأطر نظرية علمية محددة لتعديل سلوك الأطفال، دون شروط أو إلزام فيما يتعلق بالدين، بينما لو كانت المؤسسات تتبع لجهة دينية محددة لكان هناك دور ومكانة لمستوى تدين العاملين فيها.

العامل الثاني: طبيعة الأسرة التي جاء منها الطفل، فهناك الأسر المفككة أو المدمرة نتيجة لإدمان أحد الوالدين على الكحول أو المخدرات أو القيام بأفعال غير قانونية كالسرقة أو الإختلاس، وهي أسر لا يبدو عليها أنها تبدي أي إهتمام بالدين، وهذا أيضاً يلعب دوراً في مدى تأثر الطفل بسلوك المرشد إن كان المرشد متديناً أم لا، فالطفل من هذه الأسر يكون أقل تأثراً بالدين، بينما لو كانت الأسرة التي جاء منها الطفل محافظة ومتدينة فإن التدين سيكون له بعض التأثير.

العامل الثالث: وهو ما ذكرته مجموعة من العاملين من أن ملازمة الأطفال للمرشدين والعاملين الذين يقضون وقتاً طويلاً معهم ويتخذون منهم قدوة ومثلا يحتذون به، قد تسمح بأن يزاوج المرشد

المتدين بين معرفته الدينية ومعرفته العلمية (في علم النفس أو الخدمة الإجتماعية مثلاً) بحيث يدعم تدينه معرفته العلمية فلا يتعارض معها، "فمن المعروف أن الطفل ينشأ متأثراً بما يدور من حوله من أقوال وأفعال وتصرفات، فإذا رأى تناقضاً من قبل من يتولون تربيته فقد الثقة فيهم في كثير من الأحيان، ولهذا علينا تقديم القدوة الحسنة، حيث أن سلوكها عنوان ما يراد غرسه في نفوس الأبناء، فإذا كان السلوك من قبلهما مستقيماً مطابقاً لنصائحهما وإرشادهما، أدى ذلك إلى تحقيق الهدف المطلوب من التربية السليمة للأبناء." (شفيق، 2003: 142) ويعتقد بعض العاملين أن هذا المزج بين العلم والدين يؤثر أحياناً كثيرة في سلوك الطفل، خصوصاً إذا كان الطفل قد تربى في عائلته على الدين: "إن الشخص المتدين، حتى لو كانت هناك لوائح وأنظمة، يستخدم الجانب الديني لدعم ذلك وليس ضده، من أجل تعديل السلوك. فمثلاً سلوك الضرب، يستخدم في علاجه البرنامج الخاص به، كمهارات حل المشاكل دون اللجوء إلى العنف، وإلى جانب ذلك يقول له المرشد المتدين رأي الدين في ذلك أو يحثه على المعاملة الحسنة مع الآخرين. وفي حالة سلوك السرقة فقد يقوم المرشد بالشرح له عن موقف الدين من السارق، إضافة إلى البرنامج السلوكي من قبل الأخصائي النفسي والإجتماعي." (مديرة المؤسسة، 50 عاماً، 8 سنوات في الداخلي بسان فنسنت، متدينة)

وفيما يتعلق بوجهة نظر الأهل من مستوى تدين الأهل ومدى تأثيره، فقد إتفقت الأغلبية (33 من 45)، سواء متدينون أو غير متدينين، على أنه ليست هناك علاقة قوية بين مستوى تدين العائلة وبين إمكانيات تعديل سلوك الأبناء الموجودين في المؤسسات، وذلك يعود حسب رأيهم إلى إنشغالهم بمشاكلهم وبتوفير لقمة العيش نتيجة لوضعهم الإقتصادي المتردي، إضافة إلى عدم قضائهم الوقت الكافي مع أولادهم عند زيارتهم لهم في المركز (هذا إن قاموا بزيارتهم، في المقام الأول)، أو عند زيارة طفلهم لهم مرة كل أسبوعين، حيث أن العائلة لا تهتم كثيراً في هذا

اليوم بسلوك الطفل بقدر ما تهتم بحقيقة وجوده بينهم. وأرجع المبحوثون التأثير على تعديل السلوك إلى مقدار مشاركة العائلة للمؤسسة وتعاونها معها، درجة تنفيذ العائلة لما يطلب منها بخصوص سلوك أطفالها، ومقدار إستفادة العائلة من ورشات العمل والإرشادات التي يقدمها المختصون في المؤسسات. إلا أن بعض العائلات المتدينة ذكرت أنها تعتقد أن تدين العائلة يجعلها أكثر تأثيراً في تعديل سلوك الطفل بحكم أن الدين يحث الأهل على صلة الرحم وزيارة طفلهم في المؤسسة وعدم الإنقطاع عنه، وحين يكونون مع طفلهم في المؤسسة أو يكون طفلهم معهم في البيت فإنهم كثيراً ما يحثونه من خلال الدين على السلوك الحسن والإقلاع عن السلوك السيئ، الأمر الذي يساعد في تحسن سلوكه.

أما بخصوص مستوى تدين العاملين وتأثيره على سلوك الأطفال، فقد أفادت العائلات المحافظة والمتدينة أن المرشد المتدين لاشك يؤثر في تعديل سلوك الأطفال أكثر من غيره، وذلك من خلال حثه لهم على التصرف الحسن بالإستعانة ببعض النصوص الدينية، كما ويعتقدون أن المرشد المتدين يعمل من قلبه وبضمير حي ويهتم كثيراً بتعديل سلوك الأطفال، فيكون الأسلوب الديني مساعداً له في تعديل سلوكهم: "والله إللي متدين عنده مخافة ربه، بحس في الأولاد أكثر من غيره، وبشتغل معاهم من قلبه، بعطيهم قديش بقدر على شان يوخذ معاشه بالحلال." (42 عاماً، متزوجة ولديها 8 أولاد وبنات، لديها ولدان في الداخلي، متدينة، ربة بيت) وذكرت أم أخرى (36 عاماً، مطلقة، لديها 3 بنات وولدان، الولدان في الداخلي، متدينة، ربة بيت): "أنا ما بقول إللي مش متدين فش عنده ضمير، لكن إللي بستخدم الدين إلى جانب ما تعلم وما درس، مع الضمير العالي عنده لمساعدة الأولاد، أكيد بأثر أكثر وبحسن في سلوكهم." وأوضح أحد الآباء (35 عاماً، عامل نظافة في البلدية، منفصل، لديه 5 أولاد ذكور، متدين): "المتدين أولادنا

بحبوه أكثر وبثقوا فيه وبأثر فيهم أكثر، وبصيروا يسمعوا كلامه ويعملوا الصح اللي بحكيلهم عنه، ويبعدوا عن التصرف إللي بنهاهم عنه."

أما العائلات متوسطة التدين وغير المتدينة فقد عبرت عن رأيها بقولها أن الدين لا علاقة له بالموضوع، لأن المؤسسة تأتي بموظفين مناسبين ومختصين وذوي مواصفات حسنة، ولديهم المعرفة بكيفية تعديل السلوك والتأثير فيه، ويقومون بواجبهم كما ينبغي من تقديم المأوى والمشرب والمأكل والمساعدة الدراسية والعمل على سلوكيات الأطفال، حيث تكون هناك خطط مبنية من قبل المختصين حول كل سلوك غير مرغوب فيه لتعديله والتقليل منه، ودعم السلوك الحسن والمقبول. والأهم من ذلك أن تكون الإدارة واعية لعمل المرشدين ومراقبتهم، فإذا كانت الإدارة واعية وعالمة بما يحدث في المؤسسة فإن هذا يدعم السلوك، لأن الجميع يعمل كما ينبغي إذا كانت هناك رقابة ومتابعة: "الدين ما إله علاقة. إللي بظل يحيكلهم عن الدين والدين، بنفروا وببعدوا عنه وما بحبوا أسلوبه." (32 عاماً، متزوجة، 3 بنات، 2 منهن في الداخلي، ربة بيت، تدين قليل) وذكر أحد الآباء (39 عاماً، عامل في شركة الكهرباء، متزوج ولديه 6 بنات و 3 أولاد، متوسط التدين): "أنا المضبوط بثق في المؤسسة، بقول أهم من الدين وأهم من المال يكون بعرف كيف يتعامل مع مشاكل الأولاد، شو الفائدة الموظف غني ولا فقير، مدّين ولا مش مدّين؟ المهم يعرف كيف يغير بسلوكهم من العاطل للمليح." وذكر أب آخر (29 عاماً، مطلق، لديه ولد وثلاث بنات جميعهم في الداخلي، عامل في مطعم، غير متدين): "الإدارة القوية والواعية واللي بتراقب تصرفات المرشدين وبتابع عملهم وبرامجهم مع الأولاد، لا شك إنه سلوك الأولاد وتصرفاتهم بتتحسن. أما إذا كانت الإدارة ضعيفة وغافلة عن تصرفات موظفيها وما بتراقب تنفيذ برامجهم وخطتهم، فأكيد الأولاد بده يرجع سلوكهم لورا."

يتضح مما سبق أن معظم العاملين في المؤسسات يرون أن العائلة متوسطة التدين هي الأفضل في التأثير على تعديل سلوك الأطفال، وذلك لأنها النموذج الأقرب إلى تعامل المرشدين مع الأطفال بحكم وظيفتهم، حيث أن ذلك يساعد مثل هذه العائلات في قبول أنماط التعامل الموجودة مع أطفالهم في المؤسسة، وفي قبولهم للمرشدين سواء متدينين أو غير متدينين. ويرى بعض العاملين أن مستوى تدين العائلة ليس له دخل في التأثير على تعديل سلوك الأطفال، فبعد دخول الطفل إلى المؤسسة يقل تأثير العائلة، خصوصاً إذا كان الأهل غير ملتزمين بزيارة طفلهم، فالأهم من تدين الأهل هو مدى قربهم من طفلهم ومشاركتهم في فعاليات المؤسسة وتعاونهم في خطة تعديل سلوك طفلهم. وبالنسبة لمستوى تدين العاملين أنفسهم فقد رأى العاملون أن تأثيره على تعديل سلوك أطفال المؤسسة يرتبط بثلاثة عوامل: أولاً، نوعية المؤسسة، هل هي خاصة أم حكومية، وثانياً مستوى تدين الأسرة التي جاء منها الطفل، وثالثاً مقدرة العامل على الجمع بين المعرفة العلمية والمعرفة الدينية في تعامله مع الأطفال.

أما من وجهة نظر الأهل، فيرى الكثير منهم أن مستوى تدين الأهل ليس له تأثير كبير على تعديل سلوك أطفالهم، حيث أن سلوك الأطفال في المؤسسة يتأثر أولاً وأخيراً بالمرشدين والأطفال الذين يعيشون معهم في المؤسسة، وبدرجة أقل بمدى زيارة الأهل لطفلهم ومشاركتهم في فعاليات المؤسسة وتعاونهم في خطة تعديل سلوك الطفل. وهذا دليل آخر على صحة فرضية التعلم التي تركز على النموذج والمحاكاة والتقليد لسلوك الذين نعيش معهم وتأثُرنا فيه، حيث أن تأثر اؤلئك الأطفال بزملائهم ومرشديهم من ناحية الدين يكون أكثر من تأثرهم بتدين الأسرة أو عدمه لأنهم يقضون الوقت الأكبر مع مرشديهم وزملائهم أكثر منه مع عائلاتهم. وترى بعض العائلات المتدينة أن تدين الأهل يساعد كثيراً في تعديل سلوك الطفل من حيث أن الدين يحث الأهل على التواصل مع طفلهم والمشاركة في فعاليات المؤسسة لتعديل سلوكه. أما بالنسبة لمستوى تدين

العاملين فقد إنقسم الأهل إلى قسمين؛ الأول يرى أن المرشد المتدين يؤثر أكثر من غيره في تعديل سلوك الأطفال لأنه يستعين بالنصوص الدينية لدعم معرفته العلمية، ولأن الدين في رأيهم يحث العامل على الإخلاص في عمله، والثاني يرى أن مستوى تدين العاملين لا علاقة له بتعديل سلوك الأطفال طالما أن العامل يملك المؤهلات الضرورية ويقوم بواجبه بإخلاص، وطالما أن إدارة المؤسسة واعية لعمل المرشدين ومواظبة على مراقبتهم.

المحور السابع:

هل هناك علاقة بين نوع أسرة الوالدين والعاملين في المؤسسات الداخلية وبين تعديل سلوك الأطفال؟

أجمع أغلب العاملين في المؤسسات (37 من أصل 46 مبحوثاً) على أنه ليست هناك علاقة بين نوع عائلة الموظف وتعديل سلوك الأطفال، فتعديل سلوك الأطفال في المؤسسة يعتمد على خبرة العامل وتعليمه ومهاراته وليس على نوع العائلة التي ينتمي إليها، فهو لا يرجع إلى عائلته، سواء كانت ممتدة أو نووية، ولا يستشيرهم في تعديل سلوك أطفال المؤسسة، ولا يشركهم في الأمور التي تتعلق بطرق تعديل سلوك هؤلاء الأطفال: "نحن لا نستشير عائلتنا ولا ندخلها بمشاكل هؤلاء الأطفال، ولا يحضرون ولا يتدخلون، فلا علاقة بين سلوك الأطفال ونوع عائلتنا." (مركّز مرشدين، 36 عاماً، متزوج ولديه بنت، 4 سنوات عمل في مركز أجيال، عائلة نووية) وكما قال عامل آخر (مرشد، 29 عاماً، أعزب، 3 سنوات عمل في الداخلي، عائلة ممتدة): "ما في أي علاقة بين نوع عائلتنا وسلوك الأطفال. لو سألت عن مشاعرنا وين أفضل إلنا، في عائلة ممتدة أو في عائلة نووية، فبالنسبة لي شخصياً عائلة ممتدة، لأنها بتدعمني مادياً ومعنوياً وبتكون لي سند وتقوّيني أمام الآخرين فلا يطمع بي الآخرين. أما مع الأطفال في المؤسسات فإن كانت عائلتنا كبيرة أو صغيرة ما إلها أي علاقة، فهي لا تتدخل نهائياً." وذكرت إحدى العاملات (مديرة مؤسسة، 44 عاماً، عزباء، 9 سنوات في العمل، عائلة ممتدة): "نحن نعمل ونشتغل في محل فيه قوانين وأنظمة وأدوار معروفة للعاملين. ممنوع ندخل عائلاتنا أو أن نستشيرهم حول سلوك الأطفال. أصلاً شو بعرفهم؟ شو علاقتهم بهذا الشيء؟" وعبر عن نفس الموقف عامل آخر (مرشد، 29 عاماً، 5 سنوات في الداخلي، أعزب، عائلة نووية): "عائلتي،

كبيرة والا صغيرة، شو دخل سلوك الطفل فيها؟ فش علاقة نهائياً. يكون لها تأثير لو الطفل عايش عندهم، أما وهو في المؤسسة فكيف بدهم يؤثروا فيه؟"

ولكن أقلية بسيطة من العاملين (9 من أصل 46) رأت أن نوع عائلة العامل قد يؤثر في تعديل سلوك الأطفال حسب تجربة الموظف، فمثلاً إذا كان قد تربى في عائلة نووية وتعوّد على أن لا يتدخل أحد فيه، وهو ووالديه يتخذون القرارات ولا يشاركون الجد أو الجدة أو العم أو العمة أو الخال أو الخالة في ذلك، فإنه قد يفضل أن يتعامل مع أسرة الطفل النووية (الأب والأم) ولا يعطي أهمية لما يقوله جد الطفل أو عمه مثلاً في حالة حضور أحدهما مع والده إلى المؤسسة، لأنه لا يحبذ مشاركة الآخرين ولا يفضل أن تكون عدة وجهات نظر، إيماناً منه بأن ذلك يعطل عملية تعديل سلوك الطفل. أما إذا كانت أسرة العامل قد تعرضت لأزمات مختلفة ولم يمد لها أحد يد العون فشعر بالضعف والعزلة وأنه بحاجة لآخرين يشعرون به ويكونون مصدر دعم له، فإنه قد يفضل التعامل مع الأسرة الممتدة للطفل ويعطيها دوراً للتدخل والمساندة في تحسين سلوكه. أما إذا كان العامل ينتمي إلى عائلة ممتدة وكانت تجربته مع أفرادها سلبية فاشلة، فإن ذلك سيدفعه إلى عدم السماح لأفراد العائلة الممتدة بالتدخل في سلوك الطفل، ايماناً منه بأن ذلك يعطل من تعديل سلوك الطفل ويضعف شخصيته: "تأثيره (أي العامل) على السلوك يتعلق من أي أسرة جاء. إذا من أسرة ممتدة وتجربته فيها كانت ناجحة، معطيته دعم مادي ومعنوي ويفتخر بها، فهو لا شك يشجع الأقارب من ذوي الطفل ويعطيهم دوراً في السلوك ومهام يقومون بها. أما إذا تجربته سيئة وكانوا ماسحين شخصيته، ما فش أحد يسمع له ولا يأخذ برأيه، فأكيد مش راح يسمح لهذه الأسرة بالتدخل، فقط يحاول أن يعطي دوراً لوالده أو والدته." (مرشد، 30عاماً، عائلة نووية، أعزب، 3 سنوات عمل بهوستل الغد) وأعرب عامل آخر (مرشد، 36 عاماً، 5 سنوات يعمل في أجيال، متزوج ولديه طفلان، عائلة ممتدة) عن رأي مشابه بقوله:

"يتوقف على تجربته. إذا كان عايش في أسرة نووية وصار معاهم مشاكل عنف أو مشاكل مادية ولم يجد أحداً بجانبه يدعمه مادياً أو معنوياً وكان مفتقراً لهذا الشيء، فهو يفضل أن يعطي دوراً لأقارب هذا الطفل ويشجع وجودهم وتدخلهم في تعديل سلوكه حتى لا يمر بنفس تجربة المرشد وحتى لا يكون وحيداً أو مقطوعاً من شجرة."

وتقاربت وجهة نظر الأهل من وجهة نظر العاملين فيما يخص تأثير نوع عائلة العامل على سلوك الأطفال، فقد رأى معظم الأهل أن نوع عائلة العامل لا علاقة لها بسلوك الأطفال، مبررين ذلك بأنه لا دخل لأسرة العامل بالطفل، فهي لا تبني له خططاً وبرامج لمساعدته، والطفل لا يزورهم ولا يحتك بهم، فكيف يمكن أن يكون لهم أي تأثير؟: "شو علاقة عائلته في سلوك أطفالنا، لا الموظف بستشيرهم ولا هم بيجوا على المركز (43 عاماً، بناء طوب، متزوج ولديه 6 أولاد، عائلة نووية) وقالت إحدى الأمهات (37 عاماً، تعمل سكرتيره، مطلقة، لديها 4 أولاد و3 بنات، عائلة نووية): "المرشد بستشير مديره أو الموجه إله في العمل، هُم إللي يوجهوه، هُم إللي ممكن يكون لهم تأثير في سلوكه. أما عائلته، ما إلها أي علاقة نهائياً. أصلاً ما فش إلها أي إحتكاك مع الطفل، ولا بتقول للمرشد شو يعمل معهم." وعبر عن نفس الرأي أحد الآباء (موظف أوقاف، 40 عاماً، مطلق، لديه بنت وولد، عائلة ممتدة): "عائلته كبيرة ولا صغيرة، هو في محل عمل، مش في الحارة. لا بدّه منهم لا دعم مادي ولا معنوي، لأنه الشغل موفر له أدوات العمل إللي بتستخدم مع الأطفال، مفش إلهم أي علاقة." وأضافت إحدى الأمهات (48 عاماً، أرملة، ربة بيت، لديها 6 بنات وولدان،عائلة نووية): "أنا صراحة مش شايفة أي علاقة. بحاول أفكر، بس مش ملاقية أي علاقة بين نوع عائلته وبين سلوك أطفالنا. بس معقول يكون له تأثير. شو يعني، إذا بكون في عائلة فيها سيده وسته وعمه وعمته مع والديه، والا كان بس أبوه وأمه، شو دخل أولادنا وشو دخل عائلته في سلوك أولادنا؟"

وذكر بعض الأهل أنه لو كان طفلهم يعيش لدى عائلة حاضنة فربما كان ذلك سيؤثر في تعديل سلوكه، لأن الطفل يحتك بهم ويرى تصرفاتهم، أما في المؤسسة فهناك إنقطاع كلي ما بين عائلة الموظف والأطفال، وقانون المؤسسة لا يسمح لهم بذلك، فحتى لو تربى المرشد في عائلة نووية أو عائلة ممتدة فلن يكون لذلك تأثير على سلوك الأطفال. قال أحد الآباء (28 عاماً،عامل بناء، مطلق، له ولدين، عائلة نووية): "قديش باجي على المركز وعلى مجموعات الإرشاد، عمري ما عرفت إذا كان الموظف من عائلة نووية والا ممتدة. أصلاً ما إله علاقة." وقالت إحدى الأمهات (38 عاماً، تعمل في محل ألبسة، مطلقة، لديها 3 بنات وولدان، من عائلة ممتدة): "حتى لو تربى العامل في عائلة ممتدة أو عائلة نووية، شو بدو يؤثر على سلوك الأولاد؟ في عنده مدير بوجهُه وبرشده، في عنده أنظمة وبرامج وقوانين للمؤسسة بدو يتقيد فيها شو ما كانت تجربته، لأنّ في المؤسسة كلهم مجبورين يتبعوا في تعديل السلوك نفس النظام حتى لا يحدث هناك تضارب وبالتالي يخرب على السلوك." وأوضح أب آخر (49 عاماً، حداد، متزوج ولديه 5 أولاد و 8 بنات، عائلة ممتدة، 3 أولاد في الداخلي): "نعم يستخدمون أساليب مختلفة في تعديل السلوك، ولكن متفق عليها فيما بينهم، فهم مش في عائلة كل واحد بتصرف على كيفه، ولا كل واحد بربي زي ما بده، السيد يصيح والست تدلل، والأب يضرب والأم بتعارض، والعم عنده رأي ثاني." وعلقت أم أخرى (27 عاماً، عاملة نظافة، مطلقة، ثلاثة أولاد في الداخلي، عائلة نووية) بلهجة أكثر صرامة: "شو بدنا في عائلته إحنا وأولادنا؟ أصلاً ممنوع شيء من خارج المركز يؤثر على سلوك المرشد تجاه أولادنا." وبنفس اللهجة قال أحد الآباء (31 عاماً، منفصل، لديه 4 أولاد وبنت، ولدان في الداخلي، عائلة نووية): "حتى لو عاش (العامل) في أسرة نووية أو أسرة ممتدة، فهو مش جاي يجرب هذا على أولادنا، جاي يشتغل معاهم زي ما بتوجهه المؤسسة والمسئولين عنه."

أما فيما يتعلق بوجهة نظر العاملين في تأثير نوع عائلة الأهل في سلوك أطفالهم، فقد إنقسم العاملون إلى فئتين؛ الفئة الأولى تعطي دوراً كبيراً للعائلة الممتدة في تعديل سلوك الطفل، حيث أكد قسم من العاملين أن العائلة الممتدة غالباً ما تكون العنصر الداعم مادياً ومعنوياً لأطفال المؤسسة ووالديهم، فوجود العائلة الممتدة يسّهل كثيراً عمل الوالدين مع الأطفال ويساعد في تقدم سلوكهم، خصوصاً وأن الأسرة النووية كثيراً ما تكون قد فقدت أحد أطرافها نتيجة الطلاق أو الإنفصال، أو كلاهما موجود ولكن ليس لديهما القدرة على العطاء أو المشاركة فيما يتعلق بطفلهما، وفي مثل هذه الحالات فإن العاملين في المؤسسة غالباً ما يلجئون إلى تجنيد الأقرباء الذين يرغب الطفل بهم، والذين غالباً ما يكونون من أفراد العائلة الممتدة، سواء من طرف الأب أو من طرف الأم، ولا شك أن هذا يساعد كثيراً ويؤثر في سلوك الطفل نحو الأفضل، حيث أن الطفل يشعر أن هناك من يهتم به ويسأل عنه، ويكون له متنفساً للخروج من المؤسسة لبعض الوقت، فبقاء الطفل لفترة طويلة دون زيارة الوالدين أو الأقارب ينعكس سلبياً على سلوكهم على شكل عنف وغضب وعدم إكتراث للأوامر.

من هنا تأتي أهمية العائلة الممتدة، فحتى وإن كان الأب والأم موجودين إلا أنهما في كثير من الحالات يكونان قد فقدا القدرة على التربية وإعطاء الإهتمام والحنان كما ينبغي للطفل، وبذلك يكون دورهما سلبياً في التأثير على سلوك أطفالهما في المؤسسة، وهنا يأتي دور أحد أفراد العائلة الممتدة الذي يثق به الطفل ويرتاح إليه، خصوصاً وأن العائلة الممتدة كثيراً ما يكون أفرادها متماسكين ويقدم كل منهم المساعدة للآخرين: "فعلاقات القرابة في العائلة الممتدة قوية جداً وعميقة، فهي تقدم المساعدات للأقارب وتستلم المساعدات منهم، كما أن الأقارب يساهمون من جانبهم في تربية الأطفال وإتخاذ القرارات الخاصة بتنظيم شؤونها وتقرير مستقبلها، وهذه العوائل عادة ما يكون أفرادها موحدين في الأهداف القريبة والبعيدة التي يسعون جميعاً لتحقيقها، وبذا

تكون مستويات التجانس فيما بينهم عالية نسبياً بالمقارنة مع الأنواع الأخرى من العوائل." (مليكة، 1970: 102)

قالت إحدى العاملات (مديرة هوستل، 36 عاماً، 8 سنوات عمل في الداخلي، عائلة نووية): "لا شك أن العائلة الممتدة تكون البديل لنا في حالة عدم وجود الأب والأم أو فشلهما في التعاون معنا، لأن ذلك يساعد جداً في تعديل سلوك الطفل إلى الأحسن وفي تقدمه، لأن هناك من يسأل عنه، وهناك من يأخذه ويخرجه من المركز." وقالت عاملة أخرى (أم البيت، 42 عاماً، 12 سنة عمل في الداخلي، عائلة نووية): "في حالة عدم وجود واحد يذهب إليه الطفل في العطل فإنه يشعر بالزهق والملل والإختناق وأنه وحيد ولا طعم للحياة، فالكل تخلى عنه ولا أحد يسأل عنه." وأضاف أحد العمال (مسئول بيت، 48 عاماً، أسرة ممتدة، 11 سنة عمل في الداخلي) بعض التوضيح لهذه العلاقة: "أحد أنظمة المركز الأساسية وجود شريك لنا من عائلة الطفل، حيث أن ذلك في الأغلب ما تشترطه المؤسسات لدخول الطفل لديها، ولكن ما يحصل هو أنه بعد فترة زمنية قصيرة أو طويلة يغيب والديه أو أحدهما، الذي أدخله للمؤسسة، لظرف أو لآخر، أو لأنه سافر، أو لأنه تزوج ولا يسمح له بالإتصال مع طفله، مثل الزوجة التي تزوجت بعد إدخال طفلها للمركز أو لأن أحدهما أصبح مريضاً أو لأن أحدهم سجن وغير ذلك، ولذا نقوم مع الإدارة بعمل جهدنا لإيجاد أحد أقربائه، جد أو جدة، عم أو عمة، خال أو خاله أو غيره." وعلقت إحدى العاملات (عاملة إجتماعية، 29 عاماً، عزباء، عائلة نووية، 4 سنوات في الداخلي): "بدون شريك نشعر أن جهدنا مع الأطفال يذهب سدى، لأنه ببدا بعمل مشاكل من عنف وتكسير وتخريب ممتلكات ولا مبالاة بالسلوك وبالتعليم، بقول لمين أتعلم و لمين أصير مليح؟" ووافق على هذه الملاحظة عامل آخر (مركز مرشدين، 36 عاماً، عائلة ممتدة، 4 سنوات عمل في الداخلي): "كثيراً الأولاد الذين ليس لدينا شريك من أهلهم يتحولون لعنيفين جداً جسدياً مما يجبرنا

للسيطرة على سلوكهم بتوجيههم لضابط أحداث ليحذرهم بطريقته الخاصة، وهذا أحياناً يردع سلوكهم ويجعلهم يتوقفون ويحسبون حساباً له، مثلاً بتهديدهم بالسجن أو نقلهم إلى إصلاحية للأولاد المجرمين والمتطرفين."

وعند إجرائي للبحث في مركز أجيال الذي أعمل فيه، كان هناك طفل (14 عاماً) سلوكياته متطرفة بالعنف والتخريب والشبك بين الأولاد والسرقة وتلفظ ألفاظ بذيئة تجاه الطاقم دون أي رادع، فأخذه المرشدون إلى ضابط أحداث، وكان قد نقل إلى أجيال لوجود طاقم مؤهل ولديه القدرة على التعامل مع حالات كهذه، حيث أن والديه توفيا نتيجة تعاطيهم جرعة مخدرات زائدة، وأخويه الأصغر منه تم تبنيهم من قبل عائلة في الشمال هو لا يعرفها، ومسئولة التبني رفضت طلبه بأن يراهم إلا بعد أن يصلوا إلى سن 18. والطفل ليس له أعمام وإنما عمات فقط، وهن متزوجات وأزواجهن يرفضونه، وكذلك خالاته لا يردنه بينهن. وكان الطفل قد هرب عدة مرات من المؤسسة وغاب لأيام دون أن يعرف أحد مكانه، ولكنه عاد لأنه لم يجد ملاذاً دافئاً ولا أسرة يأوي إليها. وفي النهاية حاول الإنتحار لكنه لم ينجح، والآن هناك خطة شاملة لمعالجته من قبل الأخصائي الإجتماعي والطبيب النفسي تشتمل على إعطائه دواء خاصاً بالاكتئاب وجلسات من قبل العامل الإجتماعي، ومرافقاً خاصاً من مرشدي المركز. كل ذلك يؤكد على ضرورة وجود عائلة ممتدة وضرورة الإستعانة بأحد أفرادها في حالة غياب الوالدين، للإستعانة بهم في تعديل سلوك الأطفال.

ومن ناحية أخرى رأت فئة قليلة من العاملين (11 من أصل 46) أن العائلة النووية أفضل من العائلة الممتدة في تأثيرها على السلوك، فهي فقط التي تستطيع أن تتدخل في سلوك طفلها وتؤثر فيه، وهي التي تشارك بشكل فعال في الخطة الموضوعة لطفلها، ومن الأفضل أن يكون هناك شخص واحد يشارك في عمل المؤسسة على تعديل سلوك الطفل: "إن تدخل الجد مرة والأب مرة

والعم مرة يعطل على عملنا، فكل واحد يأتي ويقول له شيئاً مختلفاً، خصوصاً إذا كان الجد غضبان على إبنه، فإنه يحرض حفيده على عدم السماع منه، وأحياناً الطفل يستغل الخلاف بينهما ويعمل ما يريد." (مرشدة، 30عاماً، عزباء، عائلة نووية، 4 سنوات في الداخلي) وذكر مسؤول أحد البيوت في إحدى المؤسسات (38 عاماً ، متزوج بدون أولاد، 9 سنوات عمل في الداخلي، عائلة نووية) حالة طفل للبرهنة على تفضيله للعائلة النووية: "جدته من طرف الأم، عند زيارتها تحرضه على عدم سماع كلام والده لأنها هي وإبنتها غضبانات عليه (الوالد)، وتطلبان منه عند زيارة والده أن يتصرف بشكل يغضب والده ولا يرضيه، وفي حالة زيارة والده أو جده من طرف أبيه فإنهما تطلبان منه المثل، مما يؤدي إلى تشويش الطفل ويعطل في تقدم سلوكه."

نأتي الآن إلى رأي الأهل في مدى تأثير نوع عائلة الأهل في سلوك أطفالهم المودعين في المؤسسات الداخلية، وهنا إنقسم المبحوثون من الأهل إلى قسمين: فالذين كانت لهم تجربه جيدة مع عائلتهم الممتدة التي دعمتهم مادياً أو معنوياً، قالوا أن للعائلة الممتدة للأهل تأثير كبير في تعديل سلوك أطفالهم في المؤسسة، مبررين ذلك بأنهم أثناء محنتهم الزوجية وعند إدخالهم طفلهم في المؤسسة قامت عائلاتهم الممتدة بدعمهم بأشكال مختلفة، حيث أن أحد أفراد العائلة الممتدة (عمة الطفل أو خالته أو جده أو جدته) تولى الزيارات للطفل، ففي حالة عدم تمكن والدي الطفل من زيارته في المؤسسة لسبب من الأسباب فإن الطفل غالباً ما يلقى من يزوره ويستقبله ويلبي إحتياجاته من بين أفراد عائلته الممتدة. لكن هؤلاء الأهل ذكروا كذلك أن تأثير أفراد العائلة الممتدة على سلوك طفلهم لا يمكن أن يعوض تماماً عن تأثير الأب أو الأم، خصوصاً وأن الأعمام والعمات والأخوال والخالات إذا كانوا متزوجين لا يكون لديهم الوقت الكافي للإعتناء بالطفل كما يجب، وحتى حين يأتي الطفل لزيارتهم في البيت فإنهم لا يتمكنون من منحة العطف

والحنان كما يفعل والديه، في حين أن الجد والجدة يكونون في كثير من الأحيان قد كبروا في السن ولا يقوون على تلبية إحتياجات الطفل أو متابعة تصرفاته. ولكن على الرغم من كل ذلك فإن أقارب الطفل يوفرون له عنواناً يذهب إليه وجهة تسأل عنه وتطمئن عليه، فيشعر الطفل بأنه ليس مهجوراً ومنبوذاً تماماً، وفي العطل والأعياد يستطيع أن يقضي وقتاً ممتعاً مع أقربائه بدل أن يظل قابعاً في المؤسسة، وكل هذا يؤثر طبعاً في سلوك الطفل إيجابياً، فالطفل يحسن من سلوكه لكي يأتوا لزيارته أو لكي يذهب لزيارتهم، لأنه يعلم أنه إذا أغضب العاملين في المؤسسة بتصرفاته غير المقبولة فإن الطاقم سيعطي عنه إنطباعاً سيئاً للقريب المسئول عنه. كما وذكر بعض هؤلاء الأهل أن العائلة الممتدة تدعمهم مادياً في بعض الأحيان، كشراء هدايا ومكافئات للطفل وتوفير الطعام له حين يزورهم. فإذا كانت الأم هي التي تعتني بالطفل بسبب غياب زوجها فإن أهلها أو أهل زوجها قد يساعدونها بالوقوف إلى جانبها معنوياً ومادياً. وكمثال على ذلك نورد ما قالته إحدى الأمهات (38 عاماً، من نابلس وحصلت على هوية القدس، مطلقة، لديها بنتان و 4 أولاد، عائلة ممتدة): "لولا أعمام الولد بفهموا ووقفوا جنبي وجنب أولادي، وخلوني في داري، ووقفوا ضد أخوهم بعد ما طلقني، والا أولادي – مساكين – كان ضاعوا، ما لقوا حدا يروحوا عنده، كان أنا واياهم في الشارع. الصحيح وقفوا جنبي بالمصاري وبأجسادهم. كل ما بروح على أولادي لأزورهم بروح واحد من إسلافي معي، ومرات هو ومرته. إبني بكيّف لما بشوفنا جايين عليه... برُد كثير على عمه. لما يكون مساوي مشكلة أو الطاقم بشكيله عن سلوكه، كتير إبني برد وبسمع منه، بسوي السلوك المليح إللي بحبه عمه." وروى لي أحد الآباء (39 عاماً، عامل متجول، عاطل حالياً عن العمل بسبب المرض، لديه 3 بنات وولد، عائلة ممتدة،): "زي ما إنت شايف، مريض، لحالي في الدار، أمهم تركتهم وتزوجت، أخذت (تزوجت) واحد بدوي، ساكنة في بئر السبع، لا بتزورهم ولا بتطل عليهم. لولا أبوي وأمي وإخوتي بالبيت،

اللي بشترولهم وبزوروهم وبطعموهم وحتى بكسوهم... واللي منهم متابعه في المركز، واللي بروح على المؤسسة لما بعملوا مشكلة، وإللي بروح وقت الإحتفالات، وإللي بزورهم لما بيجي موعد زيارته، والا أنا بحكي عن حالي مش نافع، فاشل، ما إلي قيمة، حتى عيلتي ما عرفِت أحافظ عليها." وروت أم أخرى (43 عاماً، لديها 5 أولاد و بنت واحدة، عائلة ممتدة، مطلقة، أهلها في عمان): "بعد ما طردني زوجي مع أولادي في الشارع، شفقوا عليّ دار عمه لزوجي، فقعدت عندهم شهرين على بين ما رتبت أولادي في الداخلي عن طريق الشؤون. وأنا ساكنة عند وحدة مسنة لحالها بشتغل مساعدة إلها، أهلي في عمان، فش إلنا حدا هان. أولادي نِفسهم يكون إلنا دار و يرَوْحوا من المؤسسة، بس أنا بزورهم، مساكين، لو إلنا حدا من عيلتي، أبوي وأمي وإخواني وأخواتي، كان أكيد بساعدوني وأولادي بروحوا عندهم." وقالت أم أخرى (35 عاماً، لديها ولد وثلاث بنات، عاملة نظافة، عائلة نووية، ولد وبنتان في الداخلي): " أبوي وأمي كبار ودارهم صغيرة، وإخواتي متزوجات، مفش عندي إخوة، إحنا بنات بدون أولاد. زوجي كان سكّير وخمّير، كان يكسرني أنا وأولادي من القتل، مرة كسر منخاري. بوخذ مصاري التأمين بصرفها على المخدرات. الشؤون شكت عليه للشرطة وسجنوه، والشؤون أنا إلي خبّرتهم عنه، وعلى شان أنا إلي خبرت الشؤون وكنت السبب في سجنه، حماي وأخوة زوجي طردوني أنا وأولادي من البيت. إستأجرت غرفة وحدة لي ولأولادي، أنا وولد وثلاثة بنات. أبوي وإمي مش طالع في أيدهم شي، كبار بتحملوش صياح وضجة. لو أعمامي وأولادهم كانوا قريبين منا كان ساعدوني كثير ووقفوا جنبي وجنب أولادي حتى وهمّ في الداخلي."

أما القسم الثاني من الأهل، والتي كانت لبعضهم تجارب سيئة مع العائلة الممتدة، فرءوا أن للعائلة الممتدة تأثير سلبي على سلوك الطفل الموجود في المؤسسة، وذلك في رأيهم نابع من وجود أكثر من شخص يتابع سلوك الطفل، ومن التوجيهات المتناقضة التي يعطونها للطفل، فكل

منهم له أسلوبه في التربية وطريقته في الحياة، فمنهم من يتعامل بلطف ومنهم من يقسو، ومنهم من يوافق المؤسسة في أسلوبها مع الأطفال ومنهم من لا يرضى ويعارضها، وكل ذلك يربك الطفل ويؤثر سلباً في سلوكه. فقد ذكر أحد الآباء (64 عاماً، لديه 4 ذكور، عائلة نووية، ماسح أحذية): "أنا من عمان وزوجتي من القدس. ضاقت علينا الدنيا، وصرت عاطل عن العمل. بعد ما صار عندي دِسْك (مرض في الظهر) ما بقدر أشتغل، إضطريت أدخّل أولادي داخلي، وتركت داري وجيت سكنت عند أهل مرتي، أبوها وأمها وأخواتها إلي مش متزوجات وإخوتها المتزوجين مع نسوانهم في نفس البيت. أولادي مساكين دفعوا الثمن، بس ييجوا من الداخلي بكون مبسوط عليهم وعلى سلوكهم، كل واحد بحكيلهم شي، مثلاً خالهم بقلهم إذا في الداخلي حدا ضربك أضربه وكسره، إبن خاله بقول له إذا إنسرق منك غرض إسرق من الأولاد الثانيين، زي ما سروقوك إسرقهم، وأنا بقول له إذا يا بابا بتشوف إشي خطأ إحكي عنه لمرشدينك، وخاله الثاني بقله أوعك تحكي بعدين بتهموك أنت، بلاش لولاد يحطوا ضدك." وقالت إحدى الأمهات (39 عاماً، لديها ولدان وبنتان، الولدان في الداخلي، ربة بيت، عائلة ممتدة): "أنا ساكنة مع دار حماي، وأخوة زوجي في منهم متزوج وفي منهم بعده مش متزوج. زوجي مات، والشؤون ساعدوني، حطوا أولادي في الداخلي عشان يعلموهم ويطعموهم ويتولوا مسؤوليتهم. لما بروح أزور أولادي لازم حماي أو حماتي يكونوا معاي مرافقين، بخلونيش أروح لحالي. عاد، في الداخلي كل واحد بده هو إللي يحكي، ليش مسويتش هيك؟ ليش ما أخذوك رحلة؟ شو معاقب؟ وين المدير؟... سته (جدته) بتقول حرام عليكم إذا ما بتوخذوه مع الاولاد وبتفكوا عقابه أنا بطلعه اليوم من الداخلي، بخلّي عمه يوخذه إذا ما أعطيتوه مصروف، هذا صغير حرام عليكم!"

يتضح مما سبق أن أغلبية العاملين في المؤسسات (37 من 46) يرون أن نوع العائلة التي جاء منها العاملون لا يؤثر بتاتاً على تعديل سلوك الأطفال في المؤسسة، لأن أهل العامل لا علاقة لهم بالمؤسسة وبعمله فيها، بينما ترى أقلية من العاملين (9 من 46) أنه قد يكون هناك تأثير لنوع عائلة العامل على تعديل سلوك الأطفال إلا أن ذلك مرتبط بتجربة العامل، فإذا كان العامل قد تربى في عائلة نووية مرت بأزمات كثيرة ولم تجد من يساعدها فإنه يميل إلى إعطاء دور أكبر للعائلة الممتدة للطفل بالتدخل، أما إذا كان العامل من عائلة ممتدة وكانت تجربته سيئة فإنه يميل إلى تفضيل التعامل مع الأسرة النووية للطفل ولا يعطي إهتماماً لأفراد العائلة الممتدة إعتقاداً منه بأنهم يؤثرون سلباً في سلوك الطفل. أما بالنسبة لرأي الأهل في العلاقة بين نوع عائلة العاملين وتعديل سلوك الأطفال، فقد إتفقت وجهة نظرهم كثيراً مع وجهة نظر العاملين الذين يرون أن نوع العائلة التي جاء منها العاملون لا يؤثر بتاتاً على تعديل سلوك الأطفال في المؤسسة.

ويتضح كذلك أن العاملين في المؤسسات ينقسمون في رأيهم حول تأثير نوع عائلة أهل الطفل على تعديل سلوك الطفل في المؤسسة، فمعظمهم (35 من 46) يرون أن للعائلة الممتدة للأهل دور كبير في التأثير الإيجابي على سلوك الطفل، أما الباقون (11 من 46) فيرون أن للعائلة النووية للأهل (إن وجدت) تأثير أكبر وأفضل على تعديل سلوك الطفل في المؤسسة. أما بالنسبة لرأي الأهل في العلاقة بين نوع عائلة الأهل وتعديل سلوك الأطفال، فقد إختلفت بإختلاف تجربة كل منهم مع عائلته، فالذين نجحوا في تجربتهم مع عائلتهم الممتدة يرون أن للعائلة الممتدة تأثير إيجابي على تعديل سلوك الأطفال، في حين أن الذين كانت تجربتهم مع عائلتهم الممتدة سلبية قللوا من أهمية العائلة الممتدة للأهل ورؤوا فيها عاملاً سلبياً في التأثير على سلوك الطفل وإمكانيات تعديله.

الفصل السادس

نتائج الدراسة ومناقشتها

التوصيات

قائمة المصادر والمراجع

الفصل السادس

نتائج الدراسة ومناقشتها

1- تحرص المؤسسات الداخلية في شرقي القدس على القيام بأدوار مختلفة للتغيير والتعديل في سلوك الأطفال المودعين فيها، من خلال إستخدام برامج وأدوات متعددة، منها:

أ. التجربة المصححة، والمعني بها وجود نموذج إيجابي سليم يُحتذى به وبتصرفاته من قبل الأطفال، والذي يتمثل بوجود مرشد يمثل دور الأب أو الأخ الأكبر ومرشدة تمثل دور الأم أو الأخت الكبرى، لتصحيح التجربة السيئة التي عاشها الأطفال مع والديهم. وهذا يدعم ويؤكد صحة نظرية التعلم من خلال تركيزها على ضرورة توفر نموذج ليتم محاكاته وتقليده في تصرفاته ومسلكياته، حيث تبين أن جميع المؤسسات المبحوثة عملها يقوم على التجربة المصححة للسلوك من خلال وجود نموذج المرشد الذي يمثل دور الأخ الأكبر أوالأب ونموذج المرشدة التي تمثل دور الأخت الكبرى أو الأم.

ب. إستخدام لوحات التعزيز بهدف دعم السلوك الإيجابي والتقليل من السلوك السلبي، وهذا في رأيي مهم جداً، لأنه يشكل حافزاً مهماً للطفل يقوي سلوكه الحسن ويجعله يقلع أو يقلل من السلوك السلبي. وهذا أيضاً دليل آخر على صحة نظرية التعلم وقبولها التي تقوم على أساس دعم السلوك الحسن من خلال الثواب والتقليل من السلوك السلبي من خلال العقاب.

ت. الجلسات الفردية العلاجية الأسبوعية مع العامل الإجتماعي، والتي تتمحور حول سلوك الطفل ومشاعره، وهذه في رأيي مهمة جداً كذلك، فهي بالإضافة إلى مساعدة الطفل في تعديل سلوكه تعطيه الخصوصية والراحة للتعبير عن مشاعره التي من الصعب الإفصاح عنها أمام الآخرين.

ث. الجلسات الفردية الخاصة مع الأخصائي النفسي، والتي تكون حسب الحاجة، وذلك لأنه كثيراً ما يصاب الأطفال في المؤسسة بمشاكل سلوكية ونفسية صعبة نابعة من وجودهم في مؤسسة داخلية. وإذا كان الأخصائي النفسي من خارج المؤسسة فالأمر يتطلب إنتظار الدور الذي قد يستغرق فترات طويلة، كما أن الأخصائي الخارجي لا يستطيع أن يكوّن رؤية حقيقية لطبيعة الأطفال وتصرفاتهم كما لو كان موجوداً لديهم.

ج. إشراك الأهل وإعطاؤهم أدواراً مختلفة مع أطفالهم، لما للأهل من دور كبير في تقدم سلوك طفلهم، حيث أن إشراك الأهل قد يُشعر الطفل بأن أهله يحبونه وأن له مكانة لديهم فيشعر بالأمان والطمأنينة، الأمر الذي ينعكس إيجاباً على سلوكه. وهذا يؤكد صحة نظرية النظم وقبولها في تأكيدها على دور النظم المحيطة بالطفل في إحداث تغير في سلوكه وبالذات أسرته وبضرورة إحداث تغير في دورها وتفعيله للإيجاب ولمصلحة الطفل الأمر الذي يساعده في نهج السلوك الحسن وإقلاعه عن السلوك السيء والغير مرغوب فيه حيث حرصت جميع المؤسسات وأكدت من خلال الدراسة على ضرورة دور الأهل وفاعليته بالإيجاب من قبل طاقم المؤسسة المختص كالعمال الإجتماعيين من خلال المجموعات العلاجية والإرشادية ومن خلال إعطائهم أدواراً مختلفة تجاه أطفالهم

تشعرهم بأنهم موجودين ولهم قيمه ومكانه وأنهم ليس متروكين وحدهم وأن هناك من يهتم ويسأل عنهم.

ح. الجلسات الجماعية من قبل العامل الإجتماعي للأطفال الذين يتشابهون في سلوك معين، وذلك لتشجيع الأطفال على التعبير عن مشاعرهم والحديث عن تصرفاتهم، حيث أن الطفل يرى أنه ليس الوحيد الذي يتصرف بهذا الشكل وإنما هناك أطفال آخرون لديهم نفس السلوك، كما أن أفراد المجموعة يساعدون بعضهم في تعديل سلوكهم.

خ. فعاليات وأنشطة خارجية للأطفال، وذلك بهدف دمجهم في المجتمع كي لا يشعروا بأنهم غرباء عنه.

2- تعطي المؤسسات دوراً كبيراً للأهل في المساعدة بتعديل سلوك أطفالهم من خلال إشراكهم في مجموعات الأهالي العلاجية والإرشادية مع العامل الإجتماعي مرة كل أسبوعين، إضافة إلى دعوة الأهل للأعياد والمناسبات الخاصة كأعياد ميلاد أطفالهم والإحتفالات الدينية والسنوية للمؤسسة، وإشراكهم في فعاليات خاصة مرة في الشهر مع أطفالهم، كمساعدتهم في الدراسة وترتيب الخزانة وممارسة بعض الألعاب، إضافة إلى الإتصال الهاتفي الأسبوعي من قبل الطفل لأهله، والجلسات الفردية مع العامل الإجتماعي حسب الحاجة. ويعزو الباحث ذلك إلى إيمان تلك المؤسسات بدور الأهل وما له من تأثير إيجابي كبير على سلوك أطفالهم، فبحضور الأهل ومشاركتهم يقل عنف الطفل ويزيد هدوءه النفسي ويشعر بالطمأنينة والأمان، فيكون ذلك دافعاً له للقيام بالسلوك الحسن.

3- أظهرت الدراسة أن مشاركة الأهل وتفاعلهم مع الطفل في المؤسسة تؤثر إيجابياً على سلوكه إذا ما كانت العلاقات بين الوالدين مستقرة وخالية من المشاحنات، ويكون تأثيرها سلبياً إذا ما كانت العلاقات بين الوالدين مشحونة وغير مستقرة، وذلك يعود في رأيي إلى ما يشعر به الطفل من أمن وسعادة وهدوء نفسي، وأن وجوده في المؤسسة هو لفترة وجيزة ثم سيعود لبيئته وبيت والديه، الأمر الذي ينعكس إيجاباً على سلوكه، في حين يزداد سلوك الطفل سوءاً عندما يقوم الأهل بإشراكه في مشاكلهم ونزاعاتهم، حيث تزداد همومه ويفقد الأمل بخروجه من المؤسسة، مما ينعكس سلباً على سلوكه.

4- أظهرت الدراسة بشكل عام أنه كلما زادت سنوات تعليم العاملين في المؤسسة يزداد تأثيرهم في تغيير وتعديل سلوك الأطفال، وهذا يعود – في رأيي – إلى إزدياد معرفة العامل بطرق وأساليب جديدة في تعديل السلوك. أما الخبرة في العمل فتجعل العامل يرى الأمور على حقيقتها، وإذا إقترنت الخبرة بالتعلم فلا شك أن ذلك سيزيد في مقدرة العامل على التأثير إيجاباً في سلوك الأطفال. ثم يأتي توفر العطف والحنان من قبل العامل تجاه الأطفال، فالتعليم وحده لا يكفي إن لم يقترن بالقدرة على إعطاء العطف والحنان، ذلك لأن أطفال المؤسسات كثيراً ما يعانون من الحرمان العاطفي. ينقصهم.

5- أظهرت الدراسة أن لمستوى تعليم الوالدين أهمية كبيرة في تعديل سلوك أطفالهم، ويعزى ذلك إلى إكتساب الأهل للمعرفة والخبرة في التعامل مع الآخرين، مما يساعد على أن يكونوا أكثر تفهماً وإستيعاباً للطرق التي تستخدمها المؤسسة في تعديل سلوك أطفالهم، وأكثر تعاوناً في تنفيذ ما يطلب منه من أدوار ومهام تجاه طفلهم.

6- الوضع الإقتصادي للغالبية العظمى من عائلات الأطفال الموجودين في المؤسسات صعب ومتدني، فهذا الوضع هو في الأساس أحد العوامل الرئيسية التي ساهمت في دخول أطفالهم المؤسسات.

7- وجدت هذه الدراسة أنه كلما كان وضع العائلة الإقتصادي أفضل كلما ساهم ذلك في تعديل سلوك الطفل، حيث أن العائلة ذات الوضع الإقتصادي المتوسط أو المرتفع تستطيع زيارة طفلها في المؤسسة ومنحه الهدايا والمكافئات، وحين يأتي الطفل لزيارتها في البيت تستطيع أن تصرف عليه وتأخذه في مشوار أو رحلة، الأمر الذي ينعكس إيجاباً على سلوكه.

8- أظهرت الدراسة أن معظم العاملين يرون أن المستوى الإقتصادي للعاملين ليس له علاقة بتعديل سلوك الأطفال الذين يرعونهم في المؤسسة، وتبرير ذلك هو أن العاملين، بغض النظر عن كونهم فقراء أم أغنياء، يعملون في مؤسسة تحكمها أنظمة وقوانين ولوائح يلتزم بها الجميع، وإدارة المؤسسة تراقب جميع العاملين بغض النظر عن وضعهم الإقتصادي. ولكن لم يكن هناك إجماع تام على هذا الرأي، فبعض العاملين رأوا أن للموظف الغني تأثير أكبر من الموظف الفقير على سلوك الأطفال، وقد يعود ذلك إلى أن العامل الغني يكون أكثر إطمئناناً إلى عمله واستقراراً فيه، فيكثف جهده في العمل على تعديل سلوك الأطفال. وذكرت فئة أخرى من العاملين أن العامل ذا الوضع الإقتصادي المتوسط هو الذي يؤثر في سلوك الأطفال أكثر من غيره، وهذا الرأي يتفق مع وجهة النظر السائدة بين الأهل، حيث يعتقد كلاهما أن العامل الغني قد لا يفلح في التعاطف التام مع أطفال المؤسسة بينما يفتقر العامل الفقير إلى الإطمئنان والإستقرار وتكثيف الجهد في العمل. ورأت فئة قليلة من الأهل أن ما يؤثر في مقدار مساهمة العامل في تعديل سلوك الأطفال هو مؤهلاته وخبرته في العمل وضميره الحي في التعامل مع الأطفال، وليس وضعه الإقتصادي.

9- أظهرت الدراسة أن معظم العاملين يرون أن العائلة متوسطة التدين هي الأكثر تأثيراً في تعديل سلوك أبنائها، ويعزو الباحث ذلك إلى كون العائلة متوسطة التدين هي النموذج الأقرب إلى أسلوب تعامل المرشدين مع الأطفال، مما من شأنه أن يساعد في قبول الأهل لأنماط التعامل المتبعة مع أطفالهم في المؤسسة. ورأت الفئة الأخرى من العاملين أن تأثير العائلة على سلوك الطفل يقل بشكل كبير بعد إدخال الطفل إلى المؤسسة، سواء كانت العائلة متدينة أم غير متدينة.

10- كذلك إتضح من هذه الدراسة أن العاملين يُجمعون على أن مستوى تدينهم ليس له تأثير ملحوظ على إمكانيات تعديل سلوك الأطفال في المؤسسة، حيث أن هذه المؤسسات في شرقي القدس هي مؤسسات حكومية تتبع لوزارة الرفاه والعمل الإجتماعي الإسرائيلية التي لا تولي إهتماماً للدين وإنما للأنظمة والقوانين التي تضعها لهذه المؤسسات.

11- إتضح كذلك أن معظم الأهل يتفقون في الرأي مع العاملين الذين يرون أن تأثير العائلة على سلوك الطفل يقل بشكل كبير بعد إدخال الطفل إلى المؤسسة، سواء كانت العائلة متدينة أم غير متدينة، ويعزو الباحث ذلك إلى أن سلوك الطفل في المؤسسة يتأثر بمن يعيش معهم يومياً من عاملين وأطفال آخرين أكثر بكثير مما يتأثر بعائلة الطفل ومستوى تدينها، وهذا يؤكد ويدلل على مصداقية وصحة نظرية التعلم بأن الطفل يتأثر سلوكه بالنموذج الموجود أو الذي يعيش معه بشكل ثابت أو لفترات طويلة حتى لو كان ذلك غير والديه ومن غير أسرته. ورأى عدد قليل من الأهل المتدينين أن تدين العائلة يسهم بشكل لا يمكن إنكاره في تعديل سلوك الطفل في المؤسسة، وذلك لأن الدين يحث الأهل على صلة الرحم وزيارة الطفل وعدم الإنقطاع عنه، وعند تواجدهم مع طفلهم يحثونه على السلوك الحسن والإقلاع عن السلوك السيئ.

12- أما بخصوص رأي الأهل في العلاقة بين مستوى تدين العاملين وإمكانيات تعديل سلوك الأطفال في المؤسسة، فقد أظهرت الدراسة أن المتدينين من الأهل يرون أن المتدينين من العمال أكثر وأفضل تأثيراً في سلوك الأطفال لأنهم قادرون على الجمع بين المعرفة العلمية وتعاليم الدين، خصوصاً إذا كان الطفل من عائلة متدينة. أما الأهل متوسطو التدين أو غير المتدينين فرأوا أنه لا علاقة لمستوى تدين العاملين بسلوك الأطفال، وإنما الأهم من ذلك هو ما يملكه العاملون من معرفة وخبرة وإخلاص في العمل، ومواظبة إدارة المؤسسة على مراقبة العاملين ومتابعة عملهم.

13- أظهرت الدراسة أن معظم العاملين أعطوا أهمية كبيرة للعائلة الممتدة للأهل في التأثير على سلوك الأطفال في المؤسسة، ويعود ذلك إلى حقيقة أن معظم أطفال المؤسسات يأتون من عائلات نووية محطمة، وإلى إيمان المؤسسات والعاملين فيها بأهمية وجود شخص شريك للمؤسسة في تعاملها مع الطفل في حال غياب والديه. وأعطت فئة قليلة من العاملين الأهمية الكبرى للأسرة النووية، بسبب إعتقادهم بأن تدخل أكثر من شخص من الأقارب في عملية تعديل سلوك الطفل يؤدي إلى إرباك الطفل وتشويش أفكاره وبالتالي التأثير سلباً على سلوكه.

14- كما ووجدت هذه الدراسة أن الأهل يعتقدون أن تأثير نوع عائلة الأهل على إمكانيات تعديل سلوك الطفل في المؤسسة مرتبط بتجاربهم الخاصة مع عائلاتهم وأقاربهم، حيث أن من نجح من الأهل مع عائلته الممتدة يميل إلى إعطاء دور إيجابي كبير للعائلة الممتدة في التأثير على سلوك الطفل، ومن فشل في علاقته مع عائلته الممتدة يميل إلى التقليل من أهمية العائلة الممتدة في التأثير على سلوك الطفل.

15- كذلك إتضح من الدراسة أن الأهل والعاملين متفقون على أن نوع عائلة عامل المؤسسة ليس له أي تأثير على سلوك الطفل وإمكانيات تعديله، وذلك لأن عائلة العامل، في رأيهم، لا علاقة لها بالمؤسسة والعمل فيها بأي شكل من الأشكال.

التوصيات

1- لقد أظهرت الدراسة أن معظم أسر هؤلاء الأطفال من أسر فقيرة وذوي وضع إقتصادي سيء للغاية، الأمر الذي كان أحد الأسباب الأساسية في دخول أطفالهم للمؤسسة الداخلية لذا فإنني اوصي الجهات المعنية المسؤولة عن تلك الأسر كوزارة الشؤون الإجتماعية بتقديم المساعدات المادية لتلك الأسر أو مساعدتها وتوجيهها في كيفية رفع مستواها الإقتصادي.

2- ضرورة حرص تلك المؤسسات الداخلية في شرقي القدس على تقديم الرعاية لأطفال المؤسسات الإجتماعية من المحرومين من الرعاية الأسرية في جو مماثل أو قريب من أسرهم الأصلية لأن ذلك يجنبهم الكثير من الإضطرابات السلوكية والأمراض النفسية والإجتماعية، ويساعد على تنشئتهم تنشئة صالحة ليصبحا أعضاء فاعلين في مجتمعهم.

3- ضرورة حرص المؤسسات الداخلية في شرقي القدس وعملها على الإستمرار وتطوير البرامج العلاجية وزيادة اللقاءات الإرشادية التي تساعد الأهل كثيراً في تعلم الطرق الصحيحة والسليمة في تعاملهم مع مشاكل أطفالهم وبالذات السلوكية لإحداث تقدم ايجابي في سلوك الطفل.

4- ضرورة زيارة الأهل لأطفالهم بالمؤسسات الداخلية والإلتزام بالمواعيد التي تحددها المؤسسات وإشتراكهم بالمناسبات الإجتماعية والفعاليلت والنشاطات المختلفة، وضرورة عمل المؤسسات على ايجاد الطرق أو الآليات لإلزام الأهل بالزيارة والحضور لتلك النشاطات المختلفة لأن ذلك يشعر الطفل بالأمان والدعم العاطفي وأنه ما زال محبوباً

ومهماً لهم، وأنه ليس متروكاً وحده في المؤسسة الأمر الذي يساعد كثيراً في تقدمه سلوكياً وإجتماعياً ونفسياً.

5- ضرورة أن تحرص المؤسسات الداخلية في شرقي القدس بالتعاون مع وزارة الشؤون الإجتماعية على وجود شريك لهم من قبل الأهل ليتابع الطفل، ويكون بإتصال معه بالمؤسسة وبشكل مستمر حتى لو كان ذلك من الأسرة الممتدة للطفل سواء من طرف الأب أو الأم لما في ذلك من منفعة للمؤسسة والطفل نفسه.

6- زيادة البرامج والنشاطات التي تعمل على دمج أطفال المؤسسات الداخلية بالمجتمع مثل دمجهم بالنوادي الإجتماعية والثقافية والرياضية وأماكن الترفية المختلفة والنشاطت الامنهجية وغيرها، لما في ذلك من تخفيف لمشاعرهم السلبية تجاه الآخرين كمشاعر الغيرة والحقد والإنتقام، وإشعارهم بقيمتهم وذاتهم وأنهم مقبولين وليسوا مرفوضين من الآخرين.

7- الإستمرار وتقوية العلاقة بين المؤسسات الداخلية والمدارس التي يتواجد بها الأطفال لمتابعتهم سلوكياً وتعليمياً وتغير نظرة الأطفال السلبية عنهم بأنهم أطفال مؤسسات، وسماح تلك المؤسسات بالزيارات المتبادلة بينهم وبين زملائهم ودعوتهم بالمناسبات والإحتفالات بما فيها أعياد الميلاد الخاصة بالأولاد، لتقوية العلاقة بينهم وتغير تلك النظرة السلبية عنهم.

8- ضرورة العمل من قبل إدارة المؤسسات الداخلية في شرقي القدس على رفع رواتب الموظفين وعلاواتهم الإجتماعية وتوفير سبل الراحة لهم وتثبيتهم بالعمل (عدم التلويح لهم في كل مرة بالطرد أو الفصل من العمل والبحث عن آليةعقاب أخرى غير

الفصـل) لأن إشـعارهم بالراحـة الماديـة والأمـان النفسـي يجعلهـم يـؤدون عملهـم بأمانـة وإخلاص، الأمر الذي يعود وينعكس بالايجاب على عملهم مع الأطفال.

قائمة المصادر والمراجع

1. إبراهيم، أكرم نشأت. جنوح الأحداث: عوامله والرعاية الوقائية والعلاجية لمواجهته. بغداد: مطبعة بغداد، 1983.
2. إبراهيم، سميرة محمد. مفهوم الذات والتوافق النفسي لدى الأطفال اللقطاء. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، 1983.
3. إبراهيم، كاميليا عبد الفتاح. الأهمية النفسية والتعليمية للأسرة. جامعة عين شمس، مركز دراسات الطفولة، 1984.
4. إبراهيم، المتولي إبراهيم. دراسة لأساليب الرعاية المقدمة لأطفال المؤسسات الإيوائية وقرى الأطفال وعلاقتها بمستوى القلق لديهم. رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، 1993.
5. أبو شهبة، هناء يحيى. "مدى الرضا لدى أبناء قرية الأطفال S.O.S عن أساليب الرعاية البديلة وعلاقته بالتوافق والتحصيل الدراسي." مجلة مركز معوقات الطفولة، جامعة الأزهر، العدد الأول (يناير)، 1992 (279-312).
6. أبو النيل، محمود السيد. علم النفس الإجتماعي (ج)1. بيروت: دار النهضة العربية، 1985.
7. أحمد، جمال شفيق. سمات شخصية المودعين ببعض المؤسسات الإيوائية: دراسة مقارنة. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، 1986.

8. أحمد، جمال شفيق. "دراسة تجريبية لتنمية قدرات التفكير الإبتكاري لدى أطفال الرعاية الجماعية "اللقطاء" في مرحلة الطفولة الوسطى." المؤتمر السنوي الخامس للطفل المصري (المجلد الأول)، (383-415). جامعة عين شمس، مركز دراسات الطفولة، 1992.

9. أحمد، سهير كامل. "الإنفصال عن الأسرة في الطفولة وعلاقته بمصدر الضبط والإكتئاب." مجلة دراسات نفسية، ك 2 جـ1، يناير 1992 (1-24).

10. أحمد، سهير كامل. "الحرمان من الوالدين في الطفولة المبكرة وعلاقته بالنمو الجسمي والعقلي والإنفعالي والإجتماعي." مجلة علم النفس، عدد 4، 1987 (68-90).

11. أسعد، يوسف ميخائيل. رعاية الطفولة. القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1979.

12. إسماعيل، عزت سيد. جنوح الأحداث. الكويت: وكالة المطبوعات، 1984.

13. الألفي، عزة صالح. إستخدام العلاج الجماعي لتعديل بعض الحاجات والضغوط النفسية لدى الأطفال المحرومين. الكاتب السنوي في علم النفس، المجلدالخامس، عدد خاص بأعمال المؤتمر السنوي الثاني لعلم النفس – الأنجلو المصرية، 1986.

14. البحيري، عبد الرقيب. "المشكلات السلوكية لدى أطفال الملاجئ: دراسة تحليلية." المؤتمر السنوي الثالث "الطفل المصري تنشئة ورعايته"، المجلد الأول، مركز دراسات الطفولة، جامعة عين شمس، 1990 (70-87).

15. بهادر، سعدية محمد علي. "تكنولوجيا التعليم المناسبة لإكتساب أطفال الرياض المفاهيم الأساسية." مجلة تكنولوجيا التعليم، عدد 14، 1979 (35).

16. بولبي، جون. رعاية الطفل ونمو المحبة (ترجمة عبد العزيز أبو النور). القاهرة: مؤسسة سجل العرب، 1980.

17. بيومي، محمد. حرمان الطفل من الأم وعلاقته بالتكيف الشخصي والإجتماعي. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الزقازيق،2001.

18. توق، محي الدين، وعلي عباس. "أنماط رعاية اليتم وتأثيرها على مفهوم الذات في عينة من الأطفال في الأردن." مجلة العلوم الأجتماعية، عدد 3، 1981 (71-95).

19. جابر، جابر عبد الحميد، واحمد خيري كاظم. مناهج البحث في التربية وعلم النفس. القاهرة: دار النهضة العربية، 1978.

20. جعفر، علي. الأحداث المنحرفون: دراسة مقارنة. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1990.

21. الجميلي، خيري، وبدر الدين عبده. المدخل في الممارسة المهنية في مجال الأسرة والطفولة. الأسكندرية: المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر و التوزيع، 1995.

22. حسيب، عبد المنعم محمد. الحرمان من الوالدين و علاقته بالنمو اللفظي في مرحلة ما قبل المدرسة. رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، 1990.

23. حمزة، مختار. مشكلات الآباء والأبناء. جدة: دار البيان العربي، 1982.

24. حنين، رشدي عبده. "اليتم وأثره على الحالة الوجدانية والصورة الوالدية لدى المراهق." مجلة علم النفس، العدد الثاني، 1987 (38-47).

25. الحوات، علي الدويبي، ومحسن أحمد عبد السلام. رعاية الطفل المحروم: الأسس الإجتماعية والنفسية للرعاية البديلة للطفولة. بيروت: معهد الإنماء العربي للدراسات الاجتماعية، 1989.

26. خضر، عادل كمال، وإبراهيم محمد. "المؤسسات الإيوائية بين الإستيعاب والإستدماج." مجلة علم النفس، العدد 31، 1994 (78-92).

27. الخطيب، جمال. تعديل السلوك الإنساني. الكويت: دار الفلاح، 1994.

28. دياب، فوزية. نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1986.

29. رمضان، رشيدة عبد الرؤوف. مركز التحكم وتقدير الذات لدى التلاميذ المحرومين وغير المحرومين من أسرهم. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الزقازيق، 1985.

30. الزعبي، أحمد محمد. أسس علم النفس الإجتماعي. عمان: دار زهران، 2001.

31. زكي، عزة حسين. المشكلات السلوكية التي يعاني منها أطفال المرحلة الإبتدائية المحرومين وغير المحرومين من الرعاية الوالدية. رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، 1985.

32. الزهيري، إبراهيم عباس. دراسة ميدانية للمتطلبات التربوية اللازمة للتنشئة الإجتماعية لطفل ما قبل المدرسة. المؤتمر السنوي السادس للطفل المصري تنشئة في ظل نظام عالمي جديد، مركز دراسات الطفولة، جامعية عين شمس، 1993 (589).

33. زيدان، محمد مصطفى، ومنصور حسين. الطفل والمراهق. الأنجلو المصرية، 1982.

34. زيور،نيفين."دراسة إكلينيكية لأثر فقدان الموضوع على الحياة النفسية للطفل." مجلة علم النفس، العدد 12، 1989 (7-19).

35. سعدان، عبد الصبور. دراسة إجتماعية للأطفال في الأسر البديلة في سن 6- 12 سنة. رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة: المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، 1974.

36. سويف، مصطفى. الأسس النفسية للتكامل الإجتماعي. القاهرة: دار المعارف، 1981.

37. شاهين، ايمان. أثر وفاة الأم على التوافق النفسي للأبناء من الجنسين . رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، 2005.

38. شفيق، محمد. السكان والتنمية، القضايا والمشكلات. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1998.

39. شفيق، محمد. الإنسان والمجتمع مع تطبيقات في علم النفس. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2003.

40. شيدلنجر، سول. التحليل النفسي والسلوك الجماعي (ترجمة سامي محمود علي). القاهرة: دار المعارف، 1970.

41. الشيرازي، السيد محمد الحسيني. الإجتماع (ج2). بيروت: دار العلوم، 1992.

42. الصفتي، مصطفى محمد. "التوافق الشخصي والإجتماعي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية المقيمين بقرى الأطفال S.O.S والمقيمين مع أسرهم: دراسة مقارنة." دراسات تربوية، مجلد 2، عدد 7، 1987 (191-217).

43. صلاح الدين، مها. تقويم لبعض أساليب رعاية الأطفال في المؤسسات الإيوائية. رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، 1993.

44. الظاهر. قحطان احمد. تعديل السلوك. عمان: دار وائل، 2004.

45. عباس، وفية محمد. تربية الأطفال في المناطق العشوائية: دراسات نظرية و ميدانية. الإسكندرية: العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2008.

46. عبد الباقي، زيدان. الأسرة والطفولة. القاهرة: النهضة المصرية، 1980.

47. عبد الغفار، أنور فتحي. مفهوم الذات لدى بعض الفئات من أطفال المؤسسات الإيوائية. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة المنصورة، 1982.

48. عبد المجيد، مرزوق. "الأداء العقلي والمعرفي للطفل المحروم من الأسرة: دراسة مقارنة على ضوء درجة الحرمان و مدته." المؤتمر السنوي الثالث للطفل المصري، تنشئة ورعايته، مركز دراسات الطفولة، جامعية عين شمس، المجلد الثاني، 1990 (869-902).

49. عبد الهادي، جودت، عزه عزت، وحسين سعيد. تعديل السلوك الإنساني: دليل الآباء والمرشدين التربويين في القضايا التعليمية والنفسية الإجتماعية. عمان: دار الثقافة، 2001.

50. العدوي، نجوى محمد. أثر الأسرة في نمو الحكم الخلقي عند الأطفال. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات الإسلامية، جامعة الأزهر، 1982.

51. العزبي، بدرينة محمد. أثر الحرمان من الوالدين على شخصية الطفل: دراسة ميدانية بالجزائر. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1988.

52. العزبى، مديحة محمد. دراسة لبعض المتغيرات النفسية والإجتماعية المرتبطة بالمكانة السسيومترية لدى أطفال المؤسسات المحرومين من الرعاية الأسرية. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، 1980.

53. عمر، معن خليل. معجم علم الإجتماع المعاصر. الأردن: دار الشروق، 2000.

54. علي، فاتن السيد. دراسة مقارنة للمشكلات السلوكية التي يتعرض لها كل من أطفال المؤسسات وأطفال قرية الأطفال. رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، 1992.

55. العيسوي، عبد الرحمن، ومدحت عبد الحميد. "المخاوف المرضية لدى عينة من أطفال دور الإيواء في ضوء عاملي الجنس والسن." المؤتمر الدولي "الطفولة في الإسلام"، مجلد 2، كلية الدراسات الإنسانية، قسم علم النفس، جامعة الأزهر، 9- 12 ابريل، 1990 (869-906).

56. فهيم، كلير. الإضطرابات النفسية للطفل: الأعراض و العلاج. القاهرة: الأنجلو مصرية، 1993.

57. فوس ب. م.. آفاق جديدة في علم النفس (ترجمة فؤاد أبو حطب). القاهرة: عالم الكتب، 1972.

58. قاسم، أنس محمد احمد، وسهير كامل احمد. أطفال بلا أسر. الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، 2002 .

59. القماح، إيمان محمود. أثر الحرمان من الوالدين على البناء النفسي للطفل. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعية عين شمس، 1983.

60. قناوي، هدى محمد. الطفل: تنشئته وحاجاته. القاهرة: الأنجلو المصرية، 1983.

61. الكتاني، فاطمة. الإتجاهات الوالدية في التنشئة الإجتماعية. عمان: دار الشروق، 2000.

62. الكردي، مها. "التوافق والتكيف الشخصي والإجتماعي لدى أطفال الملاجئ "اللقطاء"." المجلة الإجتماعية القومية، مجلد 17، 1980 (1-3).

63. لانديس، بول، وجون هاير. التكيف الإجتماعي للأطفال (ترجمة محمد عثمان وعبد العزيز القوصي). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1992.

64. لملوم، سعد محمد. دراسة تجريبية لأثر الحرمان من الأسرة على التحصيل الدراسي في المرحلة الأولى من التعليم. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، 1973.

65. محمد، زكية محمد عبد الفتاح. الأسرة وإنحراف الإحداث: الحلقة الدراسية الخاصة بوقاية الأحداث من الإنحراف. بغداد: مديرية الشرطة العامة، مركز البحوث والدراسات، 1983.

66. المسعود،حنان عبيد. دور الخدمات الإجتماعيةفي رعاية وتأهيل الفئات المحرومة من الأسرة الطبيعية بمنطقة الرياض. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الملك سعود، 2005.

67. مسيحة، سلوى شوقي. الحاجات النفسية لدى أطفال المؤسسات الإيوائية وعلاقتها بالعدوانية. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، 1991.

68. معجم التنمية الإجتماعية. القاهرة: جامعة الدول العربية: إدارة العمل الإجتماعي، 1983.

69. المغازي، ضحى عبد الغفار. المواليد غير الشرعيين والمجتمع: دراسة إجتماعية للمواليد غير الشرعيين في جمهورية مصر العربية. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، 1976.

70. مكاري، نبيلة ميخائيل. أثر الحرمان من الأسرة على السلوك الإجتماعي الإنفعالي لتلاميذ مرحلة الطفولة المتأخرة من 9- 12 سنة. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1989.

71. مكاري، نبيلة. أثر الحرمان من الأسرة على السلوك الإجتماعي والإنفعالي لتلاميذ مرحلة الطفولة المتأخرة. رسالة ماجستير، الإسكندرية، جامعة الإسكندرية ، 1987.

72. مليكة، لويس كامل. سايكولوجية الجماعات والقيادة. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1970.

73. ميخائيل، أملي صادق. دراسة مقارنة للقلق لدى الطفل في الأسرة البديلة والطفل في الأسر العادية في سن المدرسة الابتدائية 9- 12 سنة. رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، 1990.

74. المسعود،حنان عبيد. دور الخدمات الإجتماعية في رعاية وتأهيل الفئات المحرومة من الأسرة الطبيعية بمنطقة الرياض. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الملك سعود، 2005.

75. الهمشري، عمر. التنشئة الاجتماعية للطفل. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2003.

76. Anne, B. "Comparison of fourth and fifth grade children of one parent families with those of two parents families on measures of academic achievement and self-esteem." *Dissertation Abstracts International,* vol.45, 1984 (735).

77. Barish, J.*The impact of divorce sub seguent father absence on childrens and adolescents self-concept.* Psychological Abstracts,vol.6,2002 (132-138).

78. Barker, Robert L. *The Social Work Dictionary.* Baltimore, Port City Press, 2003.

79. Bodzinsky, D., J. C. Hitt, and D. Smith. "Impact of parental separation and divorce on adopted and non-adopted children." *Psychological Abstracts*, vol.80, No.12, 1993 (5359).

80. Boostani, M., Tashakkori, A. and Shiraz. "Social maturity of children reared in Iranian orphanage." *Child Study Journal*, vol.12 (2). 1982 (127-133).

81. Bremner, G. J. *Infancy.* New York, Basil Blackwell Ltd, 1988.

82. Brody, S., and S. Axelard. Mothers, *Fathers and Children.* New York, International Universities press, 1978.

83. Brunk, J.W. *Child and Adolescent Development.* New York, John wiley & Sons, Inc., 1975.

84. Bush, M. "A client evaluation on foster care." *Dissertation Abstracts International*, 37(A), 7. 1977 (4646).

85. Carson, R. C., J. N. Butcher, and , J. C. Coleman. *Abnormal psychology and Modern Life* (8th. ed.). Chicago, Scott, Foresman and Company, 1989.

86. Charlton, T. and D. Kenneth. *Managing Misbehavior.* California, McMillan, Ltd., 1988.

87. Cohen, N. J., J. Coyne, and J. Duvall. "Adopted and biological children in the clinic: family, parental and child characteristics." *Journal of Child Psychology & Psychiatry*, vol.34, No.4, 1993 (545-562).

88. Craig, G. J. *Human development.* New Jersey, Prentice-Hall, Inc., 1980.

89. Devall,E.,Stoneman,Z.,Brody,G.*The impact of divorce and maternal employment on prea-dolescent children.* Family Relations,vol.3,2008(153-159).

90. Draper, M.W., and H. E. Draper. *Caring for Children.* New York, Abennett Career Book, 1979.

91. Draper, H. E., and W. Draper. *The Caring Parent.* California, Glencoe publishing company, 1983.

92. Eliezer, J."A study of effect of institutionalized adolescent children." *Psychological Abstracts*, vol.4, 1969 (131-133).

93. Falender, C.A., and A. Mehrabion. "The effects of daycare on young children: An environmental psychology approach." *Journal of Psychology*, 101, 1979 (241-255).

94. Feldman, R. S. *Essentials of Understanding Psychology.* New Delhi, MaGraw-Hill book Company, 1989.

95. Hetherington, E. M., and R. D. park. *Child Psychology: A Contemorary Viewpoint.* New Delhi, MaGraw-Hill, International Book Company.1979.

96. Heward, W. L., and M. D. Orlansky. *Exceptional Children: An Introduction Survey of Special Education.* Ohio, charless E Merrill Publishing Company. 1984.

97. Hodges, J. "The effects of early institutional rearing on the development of eight years old children." *Journal of Child Psychology & Psychiatry.* Vol.19. 1970 (99-118).

98. Huffman, K. *Psychology in Action.* New York, John Wiley & Sons, Inc, 1987.

99. Hurlock, E, B. *Child Development.* New Delhi, MaGraw Hill publishing company Ltd. 1983.

100. Kauffman, J. M. *Characteristics of Children's Behavior Disorders.* Ohio, Charles E Merrill Publishing Co. 1985.

101. Kirk, S.A. *Educating Exceptional Children.* King Dom, Oxford & IB Publishing Co., 1970.

102. Kramer,J. J. *Assessment of Special Children: Tests and the Problem-solving Process.* Chicago, Scott, Foresman and Company.1988.

103. Lee, C. *The Growth and Development of Children.* New york-London, LongMan Group limited, 1984.

104. Lefton, L. A., and L. Valvatne. *Mastering Psychology.* Boston-USA, Allyn and Bacon, Inc., 1983.

105. Lemmens, F. and Donker, M. *Quality evaluation by clients: ametastudy of satisfaction research in mental health care.*Nederlands,Utrecht.2004.

106. Lilly, M.S. *Children with Exceptional Needs: A Survey Special Education.* NewYork, Holt, Rinehart and Winston, 1978.

107. Lynch, E., and R. Levis. *Exceptional Children and Adults: An Introduction to Special Education.* Chicago, Scott, Foresman and Company, 1988.

108. Micheal, S. "Longterm effects of early institutional care." *Journal of Child Psychology & Psychiartry,* vol. 20, 1979 (111-117).

109. Montgomery, D. *Managing Behavior Problems.* London & Sydney, Hodder and Stoughton, 1990.

110. Mussen,P. H. *Handbook of Child Psychology.* New York, John Wiley, Sons, 1983.

111. Mussen, P. H., J .J. Conger, J. Kegan, and J.Geiuritz. *Psychological Development: A Life Span Approach.* New York, Harper & Row Publishers, 1981.

112. Nager, H. "Childrens reactions to the death of important objects." *A Developmental Approach to the Psycho-analytic Study of the Child.* London, International Universities, vol. 31, 1976 (368-369).

113. Owens, K. *The World of the Child.* New York, Holt, Rinehart and Winston Inc., 1987.

114. Pacheco, F., and R. Eme. "An outcome study of the reunion between adopted and biological parents." *Psychological Abstracts,* Vol.80, No.8, 1993 (3501).

115. Patton, J. R., J. M. Kauffman, & Blackurn, and G. B. Brown. *Exceptional Children in Focus.* NewYork, MaCmillan Publishing Company,1991.

116. Paul, J. L., and B. C. Epanchin. *Emotional Disturbance in Children.* Ohio, Charles E. Merrill Publishing Company. 1982.

117. Perse, P. "Psychotherapy with severely deprived children." *Psychological Abstracts,* Vol. 67, 1980 (1107).

118. Pringles, Kellmer. *Deprivation and Education.* London, Longman Press, 1971.

119. Perry, J., and E. Perry. *The Social Web: An Introduction to Sociology.* New York, Harper Row Publishers, 1982.

120. Rutter. M. *Helping Troubled Children.* New York, Pengiun books,.1984.

121. Singh, U. P. and S. N. Akhtar. "The children's apperception test in the study of orphans." *Psychology Annual,* Vol. 4, 1980 (1-6).

122. Smith, A. B. "Maternal employment during the first year of life as related to cognitive and socio-emotional development in seven- year- old children." Michigan State university, *Dissertation Abstracts International,* Vol. 54, No. 10, April 1994.

123. Smith, R. M. *The Exceptional Child: A Functional Approach.* New Delhi, MaGraw Hill Book company, 1983.

124. Sptiz, R. A. "Analytic depression: An inquiry into the genesis of psychiatric conditions in early childhood." *The Psycho-Analytic Study of the Child*, International universities. Vol. 11, 1975 (53-74).

125. Suman, S. K."A study of the mental health status of children in orphanages at Bangalore." *Indian Journal of Social Work*, Vol. 47 (2), 1986 (137-146).

126. Tizard, B., and J. Ress. "The effects of early institutional rearing on the behavior problems and affectional relationships of four- years old children." *Journal of Child Psychology & Psychiatry,* Vol.16, 1975 (61-73).

127. Van, R. "The bereaved child." *Psychological Abstracts,* Vol. 68, 1982 (379).

ملحق للأسئلة المركزية للمقابلات

1- ما الذي تفعله المؤسسات الداخلية وما هي الأدوار التي تقوم بها من أجل التغير والتعديل في سلوك الأطفال المقيمين فيها؟
2- ما هي الآليات والوسائل التي تستخدمها المؤسسات الداخلية في تغير أو تعديل سلوك الأطفال؟
3- هل هناك أدوار خاصة للموظفين يقومون بها في عملهم مع الأطفال؟ وكيف يؤثر دور كل منهم في تغير وتعديل سلوكهم؟
4- ما هي النشاطات والفعاليات التي تقوم بها المؤسسات وكيف تؤثر في التعديل والتغير في سلوك الأطفال؟
5- هل يقتصر دور المؤسسات في تغير سلوك الطفل على العاملين فقط أم أنهم يعطوا دوراً للأسرة و للمدرسة وللمجتمع الخارجي؟ وإذا كان هناك دور لهذه الأطر الخارجية فكيف يتمثل دورهم وكيف يؤثر في تغير سلوك الأطفال؟
6- هل تعطي المؤسسات الداخلية أدوراً للأهل في تعديل وتغير سلوك أطفالهم ؟ وما هي هذه الأدوار؟
7- هل تسمح المؤسسة أن يشارك الأهل في بناء الخطة العلاجية لطفلهم أم فقط يتم إعلامهما عنها؟
8- هل هناك فعاليات ونشاطات خاصة من قبل المؤسسات للأهل مع أطفالهم لتغير وتعديل سلوكهم؟
9- هل هناك مجموعات إرشادية وتوجيهية من قبل المؤسسات للأهل وما هو تأثيرها على سلوك أطفالهم؟
10- ما هي الأمور والخطوات التي تقوم بها المؤسسات لحث وتشجيع الأهل على الإتصال والتواصل مع أطفالهم داخل المؤسسات؟
11- هل حضور الأهل لزيارة أطفالهم في المؤسسات يؤثر ايجابياً أو سلبياً على سلوك أطفالهم وكيف؟
12- هل يختلف سلوك الطفل في حال حضور أهله للمؤسسة ومشاركتهم له المناسبات والنشاطات أم لا وكيف؟
13- هل خروج الطفل مرة بالأسبوعين لزيارة أهله تأثير على سلوكه وكيف؟
14- كيف يتأثر سلوك الطفل عند خروجه لبيت أهله بالعطل الطويلة للمؤسسات؟
15- هل يؤثر لو أن أحدًا من أقربائه قام بزيارته بدلاً من والدية مثل جده أوعمه...الخ وكيف يكون تأثير ذلك على سلوكه؟
16- هل تشجع المؤسسات زيارات الأهل وتفاعلهم مع أطفالهم في داخل المؤسسات وكيف تنظر المؤسسات لذلك؟
17- هل مستوى تعليم العاملين و الوالدين يؤثر في تعديل أو تغير سلوك الأطفال وكيف؟
18- هل هناك عوامل أخرى الى جانب التعليم للعاملين و الوالدين تلعب دوراً في التغير والتعديل في سلوك الأطفال وكيف؟
19- هل للوضع الإقتصادي للعاملين وللوالدين سواء السيء أو المتوسط أو الممتاز تأثير في تغير سلوك الأطفال وكيف؟
20- هل هناك عوامل أخرى الى جانب الوضع الإقتصادي للعاملين والوالدين تؤثر في تغير أو تعديل سلوك الأطفال وكيف؟
21- هل لتدين أو عدم تدين العاملين و الوالدين تأثير في تغير أو تعديل سلوك الأطفال وكيف؟
22- هل هناك عوامل أخرى الى جانب التدين أو عدمه للعاملين والوالدين توثر في سلوك الأطفال أوتعمل على تغيره أو تعديله وكيف؟
23- هل يتأثر سلوك الأطفال بنوعية أسرة العاملين و الوالدين في إذا كانت ممتدة أو نووية وكيف؟
24- هل هناك عوامل أخرى تلعب دوراً في تغير أو تعديل سلوك الأطفال الى جانب نوعية أسرة العاملين و والديّ الطفل؟